www.lotusfreepub.com

وجع الذاكرة

رواية

تغريد مصباح

وجع الذاكرة

رواية

تغريد مصباح

إصدار: مارس ٢٠٢٠

رقم الإيداع
2020/10003

الترقيم الدولي ISBN
978-977-85713-5-5

الترخيص
مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي - نَسب المُصنَّف ٤,٠ - دولي

الغلاف والإخراج الفني:
دار لوتس للنشر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

منشورات دار لوتس للنشر الحر

القاهرة الكبرى:
• ١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول شارع فيصل - قرب محطة مترو فيصل
• ١٨ ميدان المساحة - الدقي
هاتف: 01091985809 - 01211313730

المغرب: الدار البيضاء
• ٢٧٠ زنقة ١٦ - حي البركة - مولاي رشيد
هاتف: 0664391261

مشروع النشر الحر
أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

للتواصل مع الدار والمشروع:

هاتف / واتس آب:
+2 01211313730 | +2 01091985809
الموقع الإلكتروني
www.lotusfreepub.com
البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com
صفحة فيسبوك
FB/lotusfreepub

إهداء

أمي.. أيتها الغالية الحبيبة، و أنتِ في دار الحق، أكتب إليك، ليتك ما زلتِ على قيد الحياة، لأُطرب،أذني بدعو اتك، التي كنتِ تمطرينني بها دوما.

تغريد مصباح

الفصل الأول

- ١ -

كان صوت قران الفجر ينبعث من المآذن المحيطة بالبناية، وخصوصا غرفة الحاجة سماح، والتي كانت طوال الليل تصلي وتقرأ القرآن وتبتهل إلى الله بالتسبيح والأذكار، وحينما سمعت صوت أذان الفجر فتحت باب غرفتها، وخرجت وهي تتمتم بالاستغفار، وتطرق باب غرفة زوجها هشام، وغرفة ابنها حمزة، وغرفة ابنتها علياء، التي ما زالت مستيقظة، تستذكر دروسها لقرب امتحانات نصف العام، فسمعت صوت أمها تنادي بهدوء

- يلا يا هشام.. يلا يا حمزة.. يلا يا علياء صلاة الفجر يا أولاد

أغلقت علياء الكتاب الذي أمامها، نظرت في شاشة هاتفها النقال، ابتسمت وهي تفرد ذراعيها من التعب، تتأمل تلك الصورة التي تجمع أفراد آسرتها، بملابس الإحرام أمام الكعبة المشرفة.

- حاضر يا ماما.. أنا صاحية بذاكر.. هاقوم حالا

سمعت علياء صوت أقدامها أمها، وهى تترك الصالة الواسعة، وتدخل الحمام وتغلق الباب خلفها، في حين ما زال والدها هشام وأخيها حمزة، يقاومان النوم وبرودة الشتاء بضراوة، في محاولة منهما للاستيقاظ لصلاة الفجر.

لم تمر دقائق حتى سمعت علياء، صوت ارتطام بأرضية الحمام، وصوت صرخة مكتومة، و انين استمر لثوان ثم انقطع، فهرعت نحو الحمام، وآخذت تدق بابه بشدة، تنادي على آمها

- ماما.... افتحي يا ماما ردى عليا

وبعد دقائق من الفزع، أخذت تنادي بصوت مرتفع، نحو غرف الشقة التي ما زالت مغلقة

- إلحقني يا بابا.. إلحقني يا حمزة..

واستمرت في دق الباب بشدة، وبهستيرية تحاول فتحه، ولكن قوتها لم تسعفها، هرول إليها والدها وأخيها حمزة، وهما في حالة من الانزعاج، وفى صوت واحد

- في إيه يا علياء؟

- كنت قاعدة بذاكر.. وسمعت صوت ماما بتدخل الحمام.. وفجأة سمعت صوت حاجة بتخبط بقوة في أرضية الحمام.

لم يفكر الجميع، ولكنهم على الفور قاموا بكسر باب الحمام، وإذا بهم يجدوا الحاجة سماح ملقاة على الأرض، وهي في حالة من فقدان الوعي، سابحة في بركة من الدماء. التفوا حولها وعلياء تصرخ وتبكي بهستيريا من هول المنظر وتنادي على أمها التي لا تحرك ساكنا.

- ماما..ماما..

كانت سوزي و ابنتها شاهيناز، يتخلصان من بقايا تلك الحفلة الصاخبة، التي استمرت حتى مطلع الفجر، بملابسهما شبه العارية، وزجاجات الخمر الفارغة، التي امتلأت بها سلة القمامة، حينما سمعا صوت صراخ في شقة جارتهما الحاجة سماح، عرفا القصة من صوت علياء المرتفع، وهي تشرح لوالدها ما حدث، وفي شماتة بالغة وسعادة تطلان من ملامحهما، اقتربت شاهيناز من أذن أمها، وكان ما حدث لجارتهم الحاجة سماح يرضي نفوسهم الحاقدة.

- مالها طنط سماح يا ماما

- شكلها وقعت على رأسها في الحمام... وماتت وارتحنا منها..

كانت ليلى في مطبخ شقتها، حينما سمعت صوت علياء، تصرخ وتولول،

فنادت على زوجها محسن في ذعر

- إلحقني يا محسن..

هرول محسن بقامته القصيرة وجسده الممتلئ، نحو المطبخ، وهو يحمل منشفته التي يمسح بها وجهه المستدير وصلعته الواسعة، من اثر مياه الوضوء

- خير يا ليلى في إيه؟

- معرفش.. سامعه أصوات صريخ في شقه الحاجة سماح.

- يا ستير يارب.. البسي إسدالك بسرعة... خلينا نطلع نشوف الحكاية؟؟

- في الوقت المتأخرده يا حاج؟

- طبعا.. دول عشرة عمر.. انتي ناسيه أفضال الحاجة سماح علينا.. بسرعة ما تضيعيش وقت

بينما يهمان بالخروج من باب الشقة، حتى استوقفهما ابنهما المهندس أحمد، بطوله الفارع وجسده الرشيق، كان خارجا من غرفة مكتبه، نظر إليهما في ذعر متسائلا

- خير يا جماعة رايحين فين دلوقتي؟

نظرت إليه أمه، وأخبرته بما حدث على عجل، فطلب منها أن يصعد معهما، لكن والده طلب منه أن يبقى حتى يعرفان القصة، فالوقت غير مناسب، لدخول شاب في مثل سنه إلى شقة جير انه.

تركاه فاغرا فمه، وعلى وجهه علامات القلق، وهو يردد بصوت غير مسموع. علياء.

صعد محسن وليلى درجات السلم بسرعة البرق، وكأنهما في سباق ماراثوني، وما أن وصلا إلى باب شقه الحاجة سماح، حتى شرعا في طرق الجرس والباب في آن واحد.هرولت علياء نحو الباب، وما وان فتحته ورأت جارتهم ليلى، حتى

ارتمت في أحضانها، وصوتها لا يكاد يطلع من حلقها، ودموعها تغرق خديها البيضاوان، وهي تشير إلى باب الحمام

- إلحقينا يا طنط ليلى... ماما وقعت في الحمام وغرقانة في دمها

ربت ليلى على كتفها، ودلفا معا نحو الحمام، في حين ظل محسن في الصالة، يتابع المشهد عن كثب، وصلت زوجته ليلى إلى الحمام، فوجدت سماح مازالت ملقاة على الأرض، فاقدة الوعي تماما وبركة من الدماء بجوار رأسها، فهرولت نحوها في ذهول من هول المنظر، والجميع عاجزون عن التفكير أو محاولة التصرف، فصرخت فيهم

- في إيه انتم بتتفرجوا عليها.. يلا معايا نشيلها ونبعدها عن الحمام.. علشان نعملها الإسعافات الأولية، ونحاول نوقف النزيف وننقلها على المستشفى..

صرخ هشام في ذعر، بعدما هرع نحو زوجته، وحملها بين أحضانه كطفل صغير، يقبل رأسها وهو يبكي، ويتجه بها نحو غرفتها، وضعها في سريرها برفق، وفرد رجليها، ثم فرد على جسدها غطاء ثقيل، وهو في هستيريا، غير مفهومة

- مستشفى لا.. أنا هجيبلها الدكتور هنا.. أرجوكم بلاش مستشفى

هرول الجميع خلفه إلى الغرفة، وعلياء تساعد ليلى، وهي ترفع جسد أمها، وتجلسها نصف جلسة، لتتفحص رأسها في محاولة لاكتشاف موضع الجرح لإيقاف النزيف، و اتجه هشام إلى الصالة، باحثا عن هاتفه الجوال، فوجده على مكتبه، سحبه بعنف، وبدأ يبحث عن رقم صديقه الدكتور محمود البكري، تاركا علياء وجارتهم ليلى، يقومان بعمل الإسعافات الأولية.

- بسرعة يا علياء هاتي قطن وطبق فيه مياه وديتول نطهر الجرح ولو عندك شاش هاتي..

- حاضر يا طنط.. بس بالله عليكي هى ماما كويسة؟

- متقلقيش يا حبيبتي ده جرح بسيط إن شاء الله.

بينما علياء متجهة لباب الغرفة لإحضار اللازم، اقترب حمزة من السرير، يتفحص رأس أمه في خوف والدموع تنهال من عيونه

- بسيط ازاى يا طنط؟ أمال الدم ده كله إيه؟

نظرت إليه ليلى بابتسامة صغيرة، في محاولة لإشعاره بالأمان

- ما تقلقش يا حمزة.. ماما بخير إن شاء الله

دخلت علياء وهي تحمل حقيبة الإسعافات الأولية، وأعطتها لجارتهم ليلى، والتي بدأت في تنظيف الجرح، ووضع الديتول في محاولة لإيقاف النزيف، هرول هشام إلى الغرفة في محاولة لبث الطمأنينة في روح أولاده، الذين أصابتهم الحادثة بذهول.

- دكتور محمود البكري على وصول يا أولاد ما تخافوش

..فبادره جاره محسن مستفسرا

- مش كنا طلبنا الإسعاف ونقلناها المستشفى أفضل يا باشمهندس؟

نظر إليه هشام بضيق قائلا

- مستحيل أدخل بيها المستشفى وهي في غيبوبة كده..

رمقه الجميع باقتضاب من هذا الرفض غير المبرر!!

دق جرس الباب، هرولت علياء لفتحه، فوجدت دكتور محمود أمامها، فهللت وهى ترحب به وتدعوه للدخول وبسرعة..

- أتفضل يا اونكل، ماما في غرفتها فاقدة الوعي وكأنها في غيبوبة.

استدار هشام ناظرا إلى ابنته علياء، وكأن كلمة غيبوبة، قد أيقظت ذكرى مؤلمة في حياته، عاد إلى الخلف مسندا ظهره إلى الحائط، ونبضات قلبه تتصارع، ودكتور محمود يخطو خطوات سريعة نحو الغرفة ويقترب من سماح. بينما هرول خلفه هشام، وسرح في زوجته الراقدة في سريرها، وشريط طويل من الذكريات يلح على ذاكرته....

- طمني يا محمود هى عايشه ولا ميتة زى ماقالوا؟

- متقلقش عايشه بس نبضها ضعيف جدا.. إحنا عملنا اللازم. وهنتابع الحالة...

- لكنه أفاق من شروده على صوت دكتور محمود ويده تربت على كتفه

- هو إيه اللي حصل يا هشام؟

- سماح كانت في الحمام والظاهر أتزحلقت ورأسها أتخبطت في البانيو معرفش بالضبط..

- خير.. مش عايزك متوتركده علشان الأولاد.. لو سمحتوا الرجالة يخرجوا بره الغرفة.

خرج هشام وحمزة ومحسن و اتجهوا للانترية المقابل لباب الغرفة، جلس الثلاثة وكل منهم في تدور في رأسه تساؤلات عدة كالرحايا.

- وبعد نصف ساعة من الانتظار المجهد للعقل.فتح دكتور محمود باب الغرفة، وخرج محاولا إخفاء قلق قد ظهر على ملامح وجهه، وبابتسامة باهتة ليس لها معنى ألقاها إليهم

- متقلقوش يا جماعة دي حاجة بسيطة والجرح سطحي.

وبسرعة اقترب منه حمزة وسأله بلهفة

- ماما فاقت يا عمو؟

نظر إليه بابتسامة رقيقة، وأشار إلى صديقه هشام

- تعالى يا هشام في غرفة المكتب عايزك في كلمتين؟

قام هشام بعدما ابتلع ريقه، وتأبط زراع دكتور محمود، ودخلا غرفة المكتب، وأغلق الباب خلفه

- خير في إيه يا محمود؟ طمني على سماح؟

- كان نفسي لاطمنك.. لكن أنا نفسي وبعد الفحص الأولي.. مش مطمن

اقترب هشام من محمود مفزوعا، وامسك بذراعيه، وشرع يهزه بعنف

- يعنى إيه يا محمود؟

- سماح لازم تتنقل المستشفى دلوقتى حالا

تركه هشام، وألقى بجسده على الكرسي وهو يردد

- مستشفى لا.. لما تفوق واطمن عليها تروح المستشفى

اقتضب محمود من رد هشام غير المتوقع!!

- مينفعش يا هشام.. ما إحنا لازم نوديها المستشفى.. علشان نطمن عليها.

- أنت صديق عمري يا محمود، وعارف قد إيه أنا بكره المستشفيات.. مفيش حبيب ليا دخلها وخرج على رجليه.. كلهم فقدتهم.. ومش مستعد افقد سماح كمان يا محمود..

اقترب محمود وربت على كتفه، حدق في عينيه، وكأنه يحاول أن يذكره بحادث قديم، التفت إلى تلك الصورة الكبيرة المعلقة على الحائط، من حفل زفاف هشام وسماح وبينهما دكتور محمود ومهندس محمد الصائغ..

- أنا مقدر شعورك يا هشام.. وفاهم كل اللي بيدور في دماغك.. بس لازم سماح تروح المستشفى علشان نطمن عليها.. وإلا تموت هنا ويكون ذنبها في رقبتك.. وأولادك مستحيل يسامحوك...

انهمرت الدموع من عينيه وأومأ بالموافقة، وعلى الفور اتصل الدكتور محمود بالإسعاف، وأبلغهم بالعنوان وطلب منهم سرعه الحضور.

مسح هشام دموعه، وقام متجها لغرفة سماح، فوجد ابنه حمزة وابنته علياء يحتضنون أمهم، وجارتهم ليلى تقف بجوار رأسها، في حالة من القلق على جارة عمرها وصديقتها.

- هو فيه إيه يا ولاد؟ ماما كويسة وعمو محمود طمني عليها وهناخدها المستشفى نعملها فحوصات علشان نطمن مش أكتر.. وان شاء الله هتصحى

وتكون كويسة وترجع معانا كمان.

صوت سيارة الإسعاف اسمع كل سكان العمارة، والذين اطلوا برأسهم من النو افذ، رغم البرودة الشديدة، وما أن شاهدوا أسرة الحاجة سماح بجوار السيارة، ومشهد رجال الإسعاف وهم يخرجونها من باب العمارة إلى سيارة الإسعاف، حتى ظهرت عليهم علامات الحزن، وهرولوا للحاق بهم إلى المستشفى، بينما كانت سوزي و ابنتها شاهيناز في شرفة شقتهما، وعليهما إمارات الشماتة، وتبادل الابتسامات..

- ٢ -

كانت الشمس قد أشرقت، وتسللت عبر النو افذ إلى ردهات المستشفى، ألقت بأشعتها على تجمع عدد كبير من سكان العمارة، أمام غرفة سماح، يتسألون عن القصة، لم يستطع هشام أن يسرد ما حدث، فقامت السيدة ليلى بشرح ما حدث باختصار شديد، حتى لا تعيد على مسامع هشام وأولاده ما حدث فيزيد من أوجاعهم، فشعروا بالحزن الشديد لما الم بها، فشكر هشام جير انه الطيبين وطلب منهم أن يعودوا إلى منازلهم، وطمئنهم أنهم سيعودون في أخر اليوم إلى المنزل.

تركهم ينسحبون الواحد تلو الآخر، في حين دخل وأولاده وجارتهم وزوجها إلى غرفة سماح من جديد، ووقف سرحا في حال زوجته الر اقدة علي سريرها، وشريط طويل من الذكريات يلح عليه،

يقتحم ذاكرته بقوة.....

- يعنى إيه يا محمود أنا مش فاهم حاجة؟

- شكلها أتعرضت لحادث كبير وصدمة عنيفة أدخلتها في غيبوبة..ممكن تقعد فيها أيام أو أسابيع أو شهور أو سنين..وممكن متفوقش منها وتموت فيها، خلى املك في الله وادعيلها بالرحمة..

لكنه أفاق من شروده على صوت محسن، ويده تربت على كتفه

- وحد الله يا باشمهندس.. الحاجة سماح بخير وهتقوم بالسلامة..بس أنت اجمد علشان الأولاد، بلاش يشفوك منهار.. كده نفسيتهم هتتعب.

نظر إليه هشام واغرورغت عينيه بالدموع، دخل طاقم التمريض المتابع لحاله سماح، التفوا حولها وشرعوا في عمل اللازم والتفتت إحداهن إلى الو اقفين حول المريضة وقالت

- لو سمحتوا يا جماعة اخرجوا بره الغرفة علشان نجهز المريضة ونعمل

الأشعة.

كانت سماح غارقة في الغيبوبة، لا تدري ما يدور حولها،غير ذلك الصوت الذي يرن في أذنها

- قومي يا غادة يابنتى هتتأخري عن المحاضرة... الساعة بقت ثمانية

خرج الجميع، وجلست ليلى بجوارزوجها محسن على المقاعد المقابلة لباب الغرفة، بينما وقف هشام يستند على الحائط، وهو يحتضن أبنائه، حاول أن يهدأ من روعهم

- أنتم بتعيطوا ليه ماما بخير وهتقوم بالسلامة..علشان هى عارفه قد إيه إحنا بنحبها ومالناش غيرها..فمستحيل تسيبنا..

ورغم تظاهره بالصلابة، لكنه لم يستطع السيطرة على دموعه التي غلبته، وتساقطت لتعلن مدى ضعفه ووهنه أمام زوجته الر اقدة في سريرها، واختلطت بدموع علياء وحمزة.

- اقترب محسن منه وربت على كتفه، طلب منه أن يذهبا إلى بوفيه المستشفى، تمنع قليلا ومع إلحاح الجميع تحرك مع محسن إلى البوفيه، وترك أولاده وجارته ليلى أمام الغرفة.

جلس هشام مع جاره محسن يتسامران في بوفيه المستشفى، يرتشفان القهوة، وهشام يشعل سيجارة ويطلق دخانها في الهواء، ومحسن يحكي عن فترة مرض زوجته ليلى، وحجزها في المستشفى، وشعوره بالخوف والقلق عليها، حتى أتم الله شفاؤها، وذكره أن المرض ابتلاء من الله، يجب أن نقابله بالرضا، وان الحاجة سماح سيدة تقية وقريبة من الله، وان مرضها في ميزان حسناتها، ولكنه سال هشام سؤال أربكه و افقده توازنه

- أنا لاحظت انك أول ما بتسمع كلمة غيبوبة ترتبك اوى..

شعر هشام بالارتباك، ولم يستطيع الرد، ولم ينقذه سوى رنين هاتفه النقال، فنظر في شاشته الكبيرة، وقبل المحادثة على الفور

- أيوه يا محمود خير...أنا في البوفيه..حاضر حاضر طلعك.... سلام

نهض من فوق الكرسي، التقط علبة السجائر وسلسلة المفاتيح، وترك محسن بلا إجابة، وهرول متجها نحو الاسانسير، نادى محسن على النادل فاقبل عليه بسرعة، وقبل أن ينطق، أعطاه ورقه مالية فئة الخمسون جنيها، وهرع خلف هشام لكنه لم يستطيع اللحاق به.

ركب هشام المصعد، وضغط زر الصعود، وما أن وصل للدور الرابع، حتى خرج مهرولا في الممر الطويل، الموصل إلى غرفة الدكتور محمود، وهو يدعو الله أن يطمئنه على سماح ويخرجها من هذه الشدة، حتى وصل إلى باب الغرفة، فتح الباب فوجد محمود، يجلس على المكتب وفى يده تقارير وإشاعات، ينظر فيها، وما أن رفع رأسه، ونظر نحو هشام حتى ارتسمت ابتسامة على وجهه تدل على التفاؤل، وطلب منه أن يجلس ويهدي من روعه، فجلس وعلى وجهه ارتسمت علامات التوتر والقلق

- خير يا محمود طمني...حاله سماح وضعها إيه؟

- الحالة مستقرة والأشعة كويسة جدا وان شاء الله خلال ساعات مدام سماح هتفوق وتخف كمان

أبتسم هشام وحمد الله وعيونه تتغرغر بالدموع

- أقوم أنا اطمن الأولاد...دول هيتجننوا على مامتهم

- و أنت كمان ارتاح يا هشام شكلك مرهق جدا وحاول تنام أنت و اقف على رجليك من الفجر.

- أنا لا هنام ولا ارتاح إلا لما سماح تفتح عيونها واسمع صوتها

خرج هشام من غرفه دكتور محمود، متجها للمصعد، وبطول الممر ولسانه لم يكف عن الدعاء، أن تنجو سماح من هذه المحنة،وصل لغرفه سماح فوجد حمزة وعلياء يجلسان كلا منهما على كرسي بجانب السرير، وكأن وجودها في حياتهم هو الأمان، وبجوارهما السيدة ليلى جارتهم، وفجأة طرق

باب الغرفة، فقام هشام وفتحه فوجد جاره محسن و ابنه مهندس احمد، الذي دخل خلف والده في أدب جم، طأطأ رأسه، بعدما ألقى بنظرة على علياء، القي بالسلام على الجميع، اطمئن على حالة الحاجة سماح، فطمئنه هشام أنها ستخرج من تلك الغيبوبة خلال ساعات، شعر محسن بالحرج من وجوده، وخصوصا أن الحاجة سماح ما زالت في رقادها، بلا حراك وحولها الأجهزة، فأشار إلى زوجته أن ينصرفا، فقامت و اقتربت من الحاجة سماح قبلت رأسها، وزرعت دمعتين على خدها، ورفعت وجهها إلى السماء تبتهل إلى الله بسرعة الشفاء، و اقترب محسن من هشام مستأذنا بالانصراف

- الحمد لله أننا اطمنا على مدام سماح وربنا يتمم شفاها على خير..نستأذن إحنا بقى.. تؤمر بشئ يا باشمهندس قبل ما نمشى

- ياريت تاخدوا الأولاد معاكم.

- كده بس من عنيا يا سيدي، باشمهندس أحمد معاه العربية وهنركب كلنا فيها.. يلا يا ولاد معانا

- بابا خليني معاك..جنب ماما.

- مفيش داعي يا حبيبتي ماما كويسة...وان شاء الله تيجوا الصبح تلاقوها صاحيه وفى انتظاركم

- حاضر يا بابا...إحنا أول ما نصحى هنيجي على طول

- تمام يا حمزة وخد بالك من أختك يا حبيبي، تصبحوا على خير

طبع هشام قبلة على جبين كل من حمزة وعلياء وودعهم، خرج محسن وليلى ومعهم حمزة وعلياء ومهندس أحمد في طريقهم للبيت، وأغلق هشام الباب بعدما ودعهم، و اتجه نحو السرير المجاور لسرير زوجته سماح، وألقى بجسده المرهق والمتعب، وراح في نوم عميق بجوار زوجته سماح التي لا تزال سارحة في ملكوت الله.

الفصل الثاني

-١.

كانت الشمس حارقة في ذلك الصباح الصيفي، ومحطة(السوبر جيت) مزدحمة عن أخرها بالركاب الذين يغادرون مدينة الإسكندرية، تلك المدينة الساحلية التي تعشقها، فهي تعشق البحر حيث تلك الزرقة التي تمتد في الأفق بلا حدود، تلك النسمات الباردة التي تجلب الانتعاش إلى الجسد، كانت تود أن تكمل بقية الأجازة بجوار البحر، لكنها متقلبة المزاج، تحب الاستقلالية، تكره أن يشاركها أحدا رأيها، أو يفرض عليها رغباته، لم تستطيع تحمل سخافات أصدقائها، هؤلاء الشباب الذين ينظرون إلى البنت على أنها مشروع عشق، يتوددون إلى جسدها أكثر من عقلها، حتى سمير صديق الجامعة التي اعتقدت انه يعشقها لذاتها، اكتشفت انه أيضا يريدها جارية، لقد طلب منها الزواج أخيرا، ولكن بورقة عرفية، حتما ستمزقها الأيام، وبعدما سيمل من جسدها، سيتركها على شاطئ الوحدة، ويفتش عن غيرها، لكنها عزمت أن تترك تلك الحياة المعربدة، ولكن كيف وقد تعودت عليها، فصارت جزء من شخصيتها.

شعرت بالانزعاج من تلك الجموع التي تمثلي بهم المحطة.اتجهت نحو شباك التذاكر، وهى تحمل حقيبتها الصغيرة التي تحوي متعلقاتها الشخصية، فلم تستطع جمع ملابسها بعد تلك المشاجرة مع سمير، تركت له (الشاليه)، وركبت أول سيارة كانت تمر على الطريق، وهربت إلى تلك المحطة لترحل إلى القاهرة قبل أن يلحق بها.

- هاى.. تذكرة للقاهرة لو سمحت

- عشرين جنيه

أخرجت من حقيبتها عشرون جنيها، وناولتها إلى ذلك الرجل القابع خلف شباك التذاكر

- كرسي رقم سبعة والرحلة الساعة واحدة مساء

نظرت إلى ساعتها، فشعرت بان الوقت المتبقي على موعد الرحلة طويل، حدثت نفسها بصوت مسموع، اسمع ذلك الرجل القابع خلف شباك التذاكر، والذي ما زال يرمقها بعيونه

- يعنى فاضل ساعة ونص.. اووووف.. هقعد فين في الدوشة دي.

فأشار إليها بائع التذاكر وهو يتأمل ملامح وجهها الجميل المثير للإعجاب

- ممكن تنتظري في الكافتيريا

_ميرسي يا عمو.....

وأعطته ظهرها وانصرفت نحو الكافتيريا، وبائع التذاكر يقوم من فوق كرسيه، ليرمق جسدها بنظرة تكاد أن تفتك بها، متابعا ذلك الشورت القصير الذي ترتديه والذي يكشف عن فخذاها البيضاوان، ومؤخرتها الملفتة للنظر، عض على شفتيه، ثم جلس بعدما اخذ جرعة من النشوة. وصلت إلى تلك الكافتيريا الممتلئة عن آخرها بالركاب.أخذت تتفحصها بعيونها العسلية، تفتش عن مقعد شاغر تلقي عليه جسدها المتعب، فلم تجد مكانا شاغرا، نفخت من الغيظ، لكنها حينما تحركت إلى آخر الكافتيريا وجدت مائدة منعزلة، تجلس عليها بنت بمفردها، فهرولت نحوها ووقفت أمامها، كانت تلك البنت تزرع وجهها في المصحف الذي بين يديها، ترتل منه بصوت منخفض غير مبالية بما يدور حولها، لكنها رفعت وجهها، حينما سمعت صوت غادة يهمس بجوارها، فظهر وجهها الأبيض الذي يشع نورا، وعيونها السوداء التي تشع ضياء، وحجابها الذي تبدو فيه كقديسة، ابتسمت بفمها

الصغير بشفاهها الحمراء الخالية من الطلاء

- هاى... ممكن أشاركك التربيزة.. زى ما انتي شايفه المكان كومبليت

- صدق الله العظيم.. وعليكم السلام... إتفضلي

جلست غادة على الكرسي المقابل لهذه البنت، وظلت ترمقها بعينيها وهى تعاود ترتل القران بصوت عذب، وتذكرت أنها لم تمس المصحف منذ نعومة أظافرها، أخذتها حياة اللهو واللعب، هؤلاء الأصدقاء الذين لا يتورعون عن بيعها بدون مقابل، لم تجد بين أصدقائها من يأخذ بيديها إلى طريق الخير أو يدفعها نحو الصلاح.تنهدت وهي تتلفت حولها تفتش عن النادل، وما أن رأته بطوله الفارع، وعيونه التي تدور في المكان باحثا عن زبائن جدد، آو ليحصد الحساب من الزبائن، حتى نادت عليه، وبسرعة البرق اقبل عليها وعيونه ترمق الشورت الذي يكشف عن فخذاها و(البادى) الضيق الذي يكاد أن ينفجر منه نهديها، اقترب منها حتى كاد أن يلتصق بها

- عايزة فنجان قهوة ساده وتكون مغليه

- حاضر يا فندم.. ثوانى وتكون عندك

- انصرف النادل من أمامها، فعاودت النظر إلى تلك الفتاة، تتأمل ملابسها المحتشمة بتلك العباءة الطويلة الفضفاضة وذلك الخمار الذي يغطي صدرها، ويزين وجهها الأبيض الجميل والذي تعففت عن طلاءه بمساحيق التجميل، حادثت نفسها

- هى ازاى مستحمله اللبس ده كله في الحر ده؟.

أحضر النادل فنجان القهوة وزجاجة مياه معدنية باردة، ووضعها أمامها في تصنع، كمن يريد أن يلفت نظرها، فمدت يدها في حقيبتها، أخرجت الحساب وأعطته إياه،فمده يده محاولا لمس يدها، ولكنها كانت احرص منه، فألقت بها على المائدة، ونظرت إليه بغيظ شديد، وقالت في سخرية

- خلى الباقي علشانك.

أخذت رشفة من فنجان القهوة، ثم مدت يدها في حقيبتها، وأخرجت علبه السجاير والقداحة، وسحبت بشفتها سيجارة من العلبة. على طريقة الكاو بوي. وأشعلتها وشرعت تطلق دخانها الكثيف في الهواء، أثارت رائحة الدخان تلك الفتاة التي تجالسها المائدة، فأغلقت المصحف ووضعته في حقيبتها، وأخرجت منديلا ووضعته على انفها، بل قررت أن تغادر المائدة، وشرعت تفتش بعيونها عن مائدة أخرى، لكنها فشلت في أن تترك تلك المائدة ورفيقتها غريبة الأطوار، فرمقتها بنظرة تعجب، من حال تلك الفتاة التي لا تتورع أن تفعل أي شيء بلا خجل، فملابسها تكشف أكثر مما تستر، وتلك السيجارة التي بين أصابعها، تلك المساحيق والعطر الذي يثير شهية الرجال، فتجبرهم على النظر إليها، والتهامها بعيونهم الجائعة، فحمدت الله على نعمة العفاف، وتلك الأسرة المتواضعة التي ربتها على التدين واحترام مشاعر الآخرين، وعدم الانسياق خلف النزوات، والابتعاد عن أصدقاء السوء.

كان كلا منهما يبادل الأخرى النظرات ويتساءل في نفسه عن ماهية الأخرى في صمت، حتى قطع سيل أفكارهما ظهور صوت المذياع الداخلي في المحطة - على السادة المسافرين إلى القاهرة سرعة التوجه إلى الحارة رقم ١٣ والأتوبيس رقم ٦٠٤٣٢ والذي سوف يغادر المحطة في تمام الساعة الواحدة مساء

نظرت كلا منهما في ساعتها، فوجدتها تقترب من الواحدة، فمدت يدها وحملت حقيبتها وهي تتأهب للرحيل، نظرت كلا منهما للأخرى وهى مبتسمة، لتعلن عن سرورها لهذا اللقاء الصامت، و اتجهت في طريق غير طريق الأخرى. ولكنهما اجتمعا مره أخرى على كرسيين متجاورين في الأتوبيس وكأنهما على موعد مع قدر مكتوب لهن معا، فنظرت للفتاه المتحجبة مبتسمة

- أنا شكلي قدرك اليوم ومفروضة عليكي في الرحلة دي
- و أنا سعيدة جدا بهذا القدروأن شاء الله هتكون رحله سعيدة.
- أنا غادة جلال بركات، الفرقة التالتة كلية الألسن ايط إلى جامعة القاهرة.
- و أنا أختك في الله..عائشة حمدان الفرقة التالتة كلية تربية لغة عربية وجامعة القاهرة كمان.

نظرت كل فتاه إلى الأخرى، ضحكا من القلب، وقالا في صوت واحد

- تشرفت بمعرفتك أختي

تحرك الأتوبيس وغادة وعائشة سعداء بهذه الصحبة، رغم الاختلاف الواضح فيما بينهما، من حيث المظهر والمضمون، ولكن الشيء الواضح، أن هناك انسجام في الأرواح، وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنوات طويلة، أخرجت عائشة من حقيبتها علبة عصير، ومدت يدها نحو غادة

- أتفضلى عصير
- لا ميرسي عامله دايت

نظرت إليها عائشة بحنق وقالت

- مبتشربيش العصيروبتشربي سجاير؟
- السجاير مبتخنش
- ولكنها بتضرك وبتضر اللي حواليكي ورسولنا الكريم قال (لا ضرر ولا ضرار)

نظرت إليها غادة بخجل، مدت يدها وأخذت علبة العصير، وشرعت ترتشف منها عدة رشفات، وحاولت أن تبرر موقفها، تشكو إليها انسياقها غير المقصود لذلك الطريق

- أنا عارفه خطر السجاير... بس أدمنتها ومقدرش أبطلها..
- وفين اهلك ازاى يسبوكي كده؟

نظرت إليها وضحكت بسخرية ممزوجة بحزن، وعدم رضا عن تلك الحياة التي تعيشها

- هما كمان بيشربوا...

نظرت إليها عائشة في شفقة، أن التربية في البيت هي من تصنع حياتنا، فإما أن تقودنا إلى الصلاح آو أن تسوقنا إلى طريق الشيطان، كيف تطلب الأم من ابنتها أن ترتدي ملابس محتشمة، تحفظها من عيون الرجال وهي ترتدي الفحش بعينه، كيف يطلب الأب من ابنه أن يبتعد عن التدخين والسيجارة تتدلي من شفته، التربية يجب أن تكون عملية وليست نظرية، يجب أن نزرع الورد لنجنى الورد، لا أن نزرع الشوك وننتظر الورد.نظرت عائشة من خلال النافذة نحو السماء، و ابتهلت إلى الله

- اللهم اهدي غادة إلى خير ما تحب وترضاه يا الله، انك على كل شيء قدير.

مرت ساعة منذ انطلاق الحافلة، والجميع يتأفف من ذلك الحر الشديد، رغم التكييف الذي ينبعث منه بعض البرودة، لتنعش ذلك الجو الخانق، مع متابعة تلك الشاشة بداخل الأتوبيس والتي تعرض احد الأفلام الرومانسية، والذي شد انتباه غادة كثيرا، في حين انصرفت عنه عائشة بالإمساك بمسبحتها، طلب الركاب من السائق التوقف عند احد الكافيتريات، فتوقف عند اقرب استراحة، ونزل بعض الركاب ليستريحوا قليلا ويتناولوا بعض الأطعمة الخفيفة والمشروبات المثلجة تعينهم على استكمال الرحلة. قالت غادة لعائشة، وهي تقوم وتسحبها من يديها

- تعالى ننزل نأكل..أنا جعانه جدا ولسه مفطرتش

- شكرا أتفضلي انتى...أنا فطرت

- إيه الرخامة دي يا بنتي أنا عزماكي متقلقيش وعلشان يكون بينا عيش وملح زى ما بيقولوا

نظرت عائشة لغادة تتفحص ملابسها، وكأنها تريد أن تخبرها بمدى خجلها من السير معها وهي بتلك الملابس، فهما على النقيض، ولكن الخجل يمنعها،

فهمت غادة مقصدها فضحكت وأمسكت بيدها تسحبها لتجبرها على الوقوف والهبوط معها من الأتوبيس.

- مكسوفة تنزلي معايا.. متخافيش الناس هيبصوا عليا أنا ولبسي الاستيل اللي هو مش عجبك وأخذت تضحك بصوت مرتفع جعلت الجميع ينظر إليه،نزلا من الحافلة وجلسا في كافتيريا الاستراحة، وعائشة تتأمل ذلك المكان والخجل يكبلها من تلك الرفيقة المنحلة.

- تحبي تأكلي إيه يا أميرة بحجابك؟

ردت عائشة وهى مبتسمة وسعيدة...

- اللي هتاكلي منه أيتها الأميرة المتبرجة؟

ضحكت غادة ضحكتها المثيرة، وهى ترفع يدها للنادل..الذي هرول مسرعا لتلبية نداء هذه الحسناء الجميلة، وقف أمامها وهو يرمقها بعينيه

- تؤمري يا فندم.. طلباتك إيه.؟

- هات ساندوتشين شاورما لحمه لارج.. وحاجه ساقعة... وزجاجة استيلا تكون مشبرة...

نظرت عائشة باستغراب من اسم هذه الزجاجة المطلوبة، وأرادت أن تسال غادة عنها، ولكنها في حيرة من آمرها، وكالعادة فهمت غادة ما يدور في عقلها، فقالت لها وهى مبتسمة

- دي حاجات كبيرة عليكي أحسن متعرفهاش..

- حاسة أنها شئ مكروه؟

- أقسم بالله انك عسل يا عائشة وبجد أنا حبيتك أوي. ونفسي الرحلة متخلصش ونكون بعدها على تواصل وأصدقاء بجد.

- ده شئ يسعدني يا غادة و أتمنى يا حبيبتي.

وقفت غادة فجأة، وكأنها قد تذكرت شيئا مهما، كان لابد أن تفعله بمجرد

وصولها الكافتيريا

- في إيه مالك؟

- ثو اني هعمل تليفون لماما وارجع بسرعة.. متاكليش إلا لما نأكل سوا.

ذهبت غادة بسرعة تبحث عن تليفون في الكافتيريا، فوجدت رجلا مسنا يجلس خلف مكتب قديم وأمامه دفتر وقلم والتليفون على يمينه، اقتربت منه وسألته

- لو سمحت التليفون ده شغال زيرو؟

نظر لها بابتسامه بلهاء، تدل على عدم الفهم، فنظرت إليه بضيق وقالت

- التليفون ده بيتصل محافظات؟

- أيوه يا ست الكل...أتفضلي

قرب إليها التليفون، رفعت السماعة وأخذت تدير قرص الأرقام بنمرة منزلها، وتنتظر الرد

- الووووو أيوه يا ماما أنا غادة.....لا راجعة في الطريق.....ادايقت منهم ورجعت لوحدي.....لما أوصل هحكيلك....المهم دلوقتى ابعتيلي العربية بالسواق على محطة عبد المنعم رياض....أنا قدامي ساعتين بالكتير وهكون في المحطة.....سلام

شكرت ذلك العجوز ومدت يدها بثمن المكالمة، ولكنه رفض أن يأخذها، وكأنه قد اخذ حقه من النظر إليها والتمتع بجمالها.ابتسمت في وجهه، وكأنها تشكره بتلك الابتسامة، واستدارت عنه وعادت مهرولة لعائشة، وكأن روحها وقلبها تعلقا بتلك الفتاة المحجبة

- أسفه تأخرت عليكي يا أش أش

- إيه أش أش.دي.. اسمي عائشة.. وده اسم أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.. يعني الاحترام والتبجيل.. فاهمه

نظرت غادة للأرض خجلا واعتذرت لعائشة، وبحضور النادل بصينية الأكل والمشروبات انتهى هذا الموقف السخيف، شعرت عائشة ان أسلوبها في الرد على غادة، كان جافا نوعا ما، فابتسمت لإزالة ذلك التوتر الذي لحق تلك العبارة وسألتها في تودد

- سيبتيني لوحدي وروحتي فين؟

- روحت كلمت ماما علشان اطمنها عليا و أقولها أني راجعه القاهرة وكمان علشان تبعتلي السواق بالعربية... يلا بقى نأكل أنا هموت من الجوع.

أمسكت غادة بزجاجة الاستيلا، و أفرغتها في الكوب الفارغ الذي أمامها، فانبعثت رائحتها التي اشمأزت منها عائشة. وشرعت غادة تأكل الشاورما، وتشرب الاستيلا وكأنها مياه معدنية

- إيه اللي انتي بتشربيه ده يا غادة؟

- شعير منبت والايثنيول وبيتعملوا عصير بالشكل ده.

- شعير وكحول مكسوفة تقولي بيرة.

ضحكت غادة بصوت مرتفع كعادتها، وتركت الكوب الذي كان بيديها، وبررت موقفها

_لا أنا مبنكسفش أصلا والدليل أني بشربها في مكان عام وبالنهار لأنها مشروب عادى جدا.

- بس ده حرام

- لا مش حرام هى مكروه مش أكتر....طيب ما المياه الغازية اللي انتي بتشربيها فيها صودا.

- ده غير ده...بلاش تبرري غلطك بكلام مالوش معنى انتي كده بتهلكى صحتك وبتخسرى أخرتك سجاير وبيرة

ثم قالت في سرها .وما خفي كان أعظم .نظرت إليها غادة وهى سعيدة بكلماتها

والتزامها وخوفها عليها رغم الوقت القليل لمعرفتهم، وراحت تحادث نفسها - كان نفسي تكون والدتي وأختي الكبيرة بأخلاقك ينصحوني ويفهموني الحلال والحرام ويحاسبوني ويخافوا عليا،ولكن هذه الكلمات ليس لهما مكان في حياة عائلتي .لاحظت عائشة شرود غادة وكأنها تلوم نفسها على تصرفاتها، التي يبدو أنها تفعلها بدون إرادة منها، فربت على يدها .وقال في حنو بالغ

- ها وصلتي لفين؟

- هو انتي ساكنه فين؟

- في بولاق أبو العلا إمبابة

- كويس يعنى جيران وسهل نزور بعض

- فرحت عائشة لكلام غادة أنهما جيران....

- انتي كمان من إمبابة؟

- لا أنا من الزمالك

نظرت لها عائشة ومدت شفتيها

- وبتقولي جيران ازاى بقى.

- يعنى بيني وبينك النيل بس.

- تقصدي مسافة السماء والأرض...

- كملي أكلك.. الله يهديكي واسكتي.

مرت فترة الاستراحة، وكلاهما تنظر إلى الأخرى بتعجب، وكم كبير من الأسئلة يدور في مخيلتها، كلا منهما تريد أن تعرف ما الظروف التي أوصلتها لهذا الوضع.

غادة تنظر لعائشة بإعجاب، لأخلاقها والتزامها في ملبسها وكلامها واحتفاظها بالمصحف في حقيبتها والالتزام بقراءة القران، وعدم اكتراثها بما يدور حولها، وكأنها وحيده بهذا الكون،وتتساءل عن كنه تلك الأسرة التي أوصلت ابنتهما

لرجاحة العقل، والقدرة على الاتزان بهذه الطريقة. عائشة تفكر في تلك الفتاة غادة، رقيقه القلب وتلك البيئة التي أوصلتها إلى تلك المرحلة المتفاقمة من الانحلال الأخلاقي واللامبالاة، أين أسرتها من كل هذا؟ من المؤكد أنها على نفس شاكلتها.

على مائدة ليست بالبعيدة عنهما، كان يجلس سائق الأتوبيس ومساعده , شد انتباه غادة تلك السيجارة التي تناولها السائق من يد مساعده، فأشارت إلى عائشة لتلفت نظرها

- بصى السواق بيشرب سيجاره ملغمة.

نظرت إليها عائشة باستغراب ينم عن عدم الفهم

- يعنى إيه ملغمة؟

- يا الله.. أنتي يا بنتى من كوكب تانى! ملغمة يعنى فيها مخدرات.

- اعوذ بالله...وده هيسوق بينا ازاى؟

ضحكت غادة بصوتها المرتفع، وغمزت لها بعينها اليمنى

- ده مش هيسوق وبس.. ده هيطير بينا فوق السحاب.

ومع انتهاء فترة الاستراحة، كانت غادة قد انتهت من تناول الطعام، فنادت على النادل ودفعت له الحساب وأعطته بقشيش كبير, وتحرك الاثنين نحو الحافلة لاستكمال الرحلة إلى القاهرة.

صعدا الحافلة وعاودا الجلوس في أماكنهما، وتحركت الحافلة، ولكن بعد فترة ليست بالقليلة من تحركها، بدء السائق يسير بسرعة جنونية، ويترنح يمينا ويسارا، وكأنه قد فقد السيطرة على عجلة القيادة، فدب الخوف في قلوب ركاب الحافلة جميعا، ولعبت الظنون بعقولهم وارتفعت أصواتهم، بحديثهم مع بعضهم البعض، أو توجيه عبارات السب والشتيمة إلى السائق ومساعده، والذي بدا عليهما عدم الاتزان، فالسائق يجلس على عجلة

القيادة وكأنه منوم،لا يسمع صياح الركاب ولا يلتفت إليهم، ولا إلى توسلاتهم بان يخفض من سرعة الحافلة,أما مساعده فلم يكن بأفضل حالا منه، فهو غارق في نوم عميق، وكان الحافلة تسير بمفردها.

لم يكن حال عائشة أفضل من بقيه الركاب، ولكنها حاولت أن تظهر القوة وعدم الخوف بالدعاء وتلاوة القران,أما غادة فكان لديها ثبات انفع إلى رهيب، وكأنها تنتظر هذا القدر بتمني وترحاب شديدين لأسباب غير معلومة، نظرت غادة لعائشة بعيون ضاحكة و ابتسامة ساخرة

- شفتي كلامى كان صح.. ده نتيجة السيجارة اللي شربها السواق وكانت محشيه مخدرات.

- إيه البرود اللي انتي فيه ده.. إحنا هنموت و انتي بتضحكى وتهزري.

- قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

- إيه الايمان اللي نزل عليكى مرة وحده ده!

ضحكت بطريقة هستيرية وعيونها دامعتان

- متخفيش أنا اللي هموت الموته ديه..يمكن ربنا كتبه إلى علشان يخفف بيها ذنوبى ويرحمني

اغرورقت عيونهما بالدموع، وهما ينظران إلى بعضهما البعض، وكأنهما يودعان بعضهما ,مدت غادة يدها على رقبتها، وخلعت السلسلة التي تطوق عنقها، ووضعتها في عنق عائشة

- أبقي افتكريني واطلبيلي الرحمة والمغفرة من الله. يمكن ربنا جمعنا الفترة الصغيرة دي علشان ألاقي إنسان قريب من ربنا.. يقرأ على روحي قران و يدعيلي بالرحمة والمغفرة.

احتضنا بعضهما، وارتفع صوتهما بالبكاء، وكأنهما يودعان بعضهما في لحظات عمرهما الأخيرة , دقائق وسمعا صوت صدام قوى بالحافلة، و انحرفت

عن مسارها على الإسفلت، ونزلت على الرمال، وأخذت تتقلب وكأنها ورقة شجر جافة في جو خريفي، حتى استقرت في مكان يبعد عن الإسفلت عدت أمتار، و افترشت الرمال حول الحافلة، بجثث بعض الركاب المتساقطة منها، ومازال بداخلها من فقد الوعي أو الروح أو مصاب وإصابته منعته من الهروب من هذا الجحيم. وما هى إلا ثو اني من استقرار الحافلة على الأرض، حتى اشتعلت النيران في جميع أجزاءها، وزادت الكارثة بانفجار تنك البنزين من شده حرارة الاشتعال.

- ٢ .

على طريق مصر الإسكندرية الصحراوي، كان المهندس هشام يقود سيارته وبجواره صديقه المهندس محمد الصائغ في طريقهما إلى الإسكندرية، طلب منه محمد أن يخفض من سرعة السيارة، نظر إليه هشام مبتسما كعادته، وبرر سرعته أن الطريق خال من السيارات ويجب عليهم الوصول إلى الإسكندرية قبل الموعد المحدد بفترة.

ظل الاثنان يتبادلان النكات والافيهات طوال الطريق, وفى منتصف الرحلة وعلى الطريق تفاجئوا بازدحام شديد وتكدس السيارات على جانبي الطريق, وسيارات الإسعاف قادمة من القاهرة و الاسكندرية تشق صفوف السيارات لإنقاذ المصابين.

حاول هشام الاقتراب من مكان الحادث لمشاهدة الحدث عن قرب, ركن سيارته على يمين الطريق وترجل نحو الحافلة المنكوبة، والتي ما زالت النيران مشتعلة في بقاياها، والجثث متناثرة حولها وتبعه صديقه محمد , شد انتباه هشام جثة لفتاة مكومة على الأرض، ولكنها بعيده عن الحافلة ورجال الإسعاف , جلس على ركبتيه بجوارها واخذ ينظر إليها بشفقة , ورفع يديه منادى على رجال الإسعاف لإنقاذها, هرول إليه رجال الإسعاف، واخذوا يتفحصون حالتها، وبعدها أكدوا له أنها قد فارقت الحياة،ويجب عليهم إنقاذ الأحياء المصابين أولا ونقلهم للمستشفيات، وغادروا المكان نحو مكان الحادث، حيث المصابين الذين بين الحياة والموت،اقترب منه محمد، وطلب منه سرعة مغادرة المكان والعودة للسيارة لمعاودة رحلتهم إلى الإسكندرية، للحاق بموعد العمل، وحاول مساعدته في النهوض من جلسته بجوار هذه الفتاه الميتة , وبينما يقوم وعيناه على الفتاة، حتى لمح يدها تتحرك، فعاد إلى

جلسته، وحرك يدها ووضع أذنه على صدرها، رغم أن ملامحها تؤكد أنها قد فارقت الحياة، غير أن هناك شعورا داخليا، كان يلح عليه بشدة أنها ما زالت على قيد الحياة، فرفض ان يتركها للموت يسرقها، والابتعاد عنها وظل يصرخ

- عايشه والله عيشه حرام عليكم

حاول محمد ان يهدي من غضبه

- هو انت تعرفها؟ هدى نفسك يا هشام مينفعش كده.

ولكن كلام محمد زاد من غضبه، واخذ يصرخ في وجه قائلا

- حرام عليكم دى انسانة مسكينة الرحمة يا ناس

فهرع إلى رجال الإسعاف، و أقنعهم بان يعودوا من جديد، فاقبلوا على الفتاة يقلبونها يمينا ويسارا، و أكدوا له للمرة الثانية أنها قد فارقت الحياة، وان ما يفعله يعتبر تدخل في عملهم، وتعطيلا لهم عن استكمال إسعاف باقي المصابين الأحق بذلك الوقت، وطلبوا منه الانصراف

- لو سمحت يا استاذ ما تعطلناش.. في مصابين كتير اولى بالوقت ده، ولو سمحت ابعد عن المكان والا هنبلغ الشرطة.. هاتي يابني سترة بلاستك نحط فيها الجثة دي ونخلص

احضر احدهم سترة من البلاستيك سوداء اللون، ووضعوا فيها الفتاة وأغلقوا السوسته، ثم حملوها ووضعوها على جانب الطريق، حتى ينتهوا من نقل المصابين، ثم يتم نقلها إلى المشرحة

شعر هشام بخيبة أمل، لكنه ظل و اقفا بجوارها، وصديقه محمد يجذبه من ملابسه، ليعود به إلى السيارة، ويلحقوا بالصفقة التي أوشكت على الضياع، وما أن هم هشام بالتحرك حتى سمع صوت مكتوم يصدر من داخل السترة البلاستيكية، أهات ثم صمت، فدفع هشام يد محمد، وهرول نحو الجثة وفتح السوستة، ووضع أذنه على فمها فشعر بأنفاسها الدافئة، فهم

ان يصرخ في رجال الإسعاف، فوضع صديقه محمد يده على فمه بسرعة خاطفة

- المرة دي هيجبولنا الشرطة و انا مش حمل بهدلة..

- لازم انقذها.. حتى لو هاخدها في عربيتى لاقرب مستشفى

- دي ميته يا هشام.. وكده انت بتحط نفسك في مواجهة مع القانون.. خليك انت مع الشبح ده و انا هاخد اي عربية واروح ألحق الصفقة.. سلام

ثم تركه و انطلق بسرعة نحو السيارة، ليأخذ متعلقاته منها، ويركب أول سيارة مرت أمامه، ويرحل بسرعة البرق، تاركا هشام مع الجثة بمفرده، مما دفع هشام ان يتصرف بمفرده، لقد قرر ان ينقذها بنفسه، وينقلها إلى اقرب مستشفى، أخرجها من السترة البلاستيكية السوداء، وحملها بين ذراعيه، وهرول بها متجها نحو سيارته، وضعها في المقعد الخلفي، ركب سيارته وجلس على عجلة القيادة، وغير اتجاه السيارة، واستمر في سيره بأقصى سرعة عائدا إلى القاهرة مرة أخرى، قاصدا اقرب مستشفى، في محاوله لإنقاذ هذه الفتاة المسكينة، التي لا يعرف عنها شئ، ولكنها مجرد حاله إنسانية حاول مساعدتها.

-٣-

اقترب هشام من مدينة السادس من أكتوبر، فقرر أن يدخلها بها المستشفى الخاصة، التي يعمل بها صديقه دكتور محمود البكري، التفت إليها فوجدها راقدة تئن من تلك الجروح المنتشرة في أنحاء جسدها،كيف سيدخل بها المستشفى وهي على تلك الحالة، وما أن اقترب من أبواب المستشفى حتى تنحى على الطريق، و اقترب من احد حراس المستشفى، وسال عن الدكتور محمود البكري فرد عليه الحارس

- دكتور محمود في الاستقبال

ففرح هشام ان صديقه محمود، سيقف بجانبه في تلك الورطة، هرع إلى غرفة الاستقبال، فوجود صديقه محمود فنادى عليه، واحتضنه وتنحى به جانبا، وهمس في أذنه شارحا كل ما حدث بهدوء، وبمجرد أن انتهي من سرد ما حدث، حتى عنفه محمود، ولامه على فعلته تلك

- انت مجنون يا هشام.. افرض قابك كمين ولا البنت ميته فعلا كنت هتعمل إيه؟

شعر هشام بالخوف يزلزل كيانه، لكن محمود، أشار إلى فريق الاستقبال سرعة التوجه إلى السيارة، وجلب تلك الفتاة الراقدة بداخلها، لإجراء الإسعافات الأولية، وبسرعة البرق هرول رجال الاستقبال نحوها، أخرجوها من السيارة بعناية فائقة، وادخلوها غرفة الاستقبال، وتم عمل الإسعافات الأولية اللازمة.

في الغرفة رقم ٢١٠ بالدور السابع، كانت ترقد على سريرها الأبيض وهي في حالة من فقدان الوعي، تحيط بها الأجهزة وخراطيم المحاليل معلقة بيدها، والدكتور محمود يفحصها بعناية، وهشام يقف بجوار السرير مرتبكا، يتأمل

وجهها الطفولي الأبيض وخدودها الحمراء وشفتاها الصغيرتان.

- طمني يا محمود هى عايشه ولا ميتة زى ماقالوا؟

- متقلقش عايشه بس نبضها ضعيف جدا.. إحنا عملنا اللازم. وهنتابع الحالة.. اهدأ أنت بس و أتفضل انتظر بره شويه.

خرج هشام، لكن عيونه ما زالت متعلقة بتلك الفتاة التي بين الحياة والموت، ظل على قلقه وتوتره حتى خرج دكتور محمود وطاقم التمريض من الغرفة فهرول نحوه هشام

- خير يا محمود...طمني

- إحنا عملنا اللي قدرنا عليه.. بالنسبة للجروح والحروق اللي في جسمها.. ولكن الغيبوبة اللي هى فيها لا يعلمها إلا الله، لكن ما تقلقش الإشاعات أكدت سلامه المخ والجمجمة.

قال هشام في خوف وقلق...

- يعنى إيه يا محمود أنا مش فاهم حاجة؟

- شكلها أتعرضت لحادث كبيروصدمة عنيفة أدخلتها في غيبوبة..ممكن تقعد فيها أيام أو أسابيع أو شهور أو سنين..وممكن متفوقش منها وتموت فيها، خلي املك في الله وادعيلها بالرحمة.. اسيبك دلوقتي.. وما تقلقش أنا معاك لحد ما نمشي سوا.

بينما هشام يقف أمام الغرفة التي ترقد فيها تلك الفتاة، حتى اقتربت منه إحدى الممرضات بطولها الفارع وجسدها الرشيق، نظرت إليه بعيونها السوداء و ابتسامتها الجميلة، لكن جمالها الأخاذ لم يلفت انتباه ذلك الشاب الوسيم، بطوله وجسده الرشيق وملابسه الأنيقة، لأنه كان مشغولا بتلك الفتاة الر اقدة بداخل الغرفة بين الحياة والموت

- حضرتك مع المريضة اللي في الغرفة رقم ٢١٠؟

- ايوه.. خير؟

- كنا عايزين من حضرتك بيانات المريضة علشان نفتح لها ملف ونسجلها في مرضى المستشفى. والحسابات تعملها فولدر..

- أنا دفعت مبلغ كبير تحت الحساب؟

- أنا عايزه أملا استمارة الدخول.. اسمها؟ سنها؟ حالتها الاجتماعية؟ صله القرابة؟

وقف هشام صامتا لدقائق وهو في حيرة من أمره، يفتش عن مخرجا لتلك الورطة التي وقع فيها.لم يجد ردا مناسبا، غير انه يؤجل تلك الورطة، حتى يفكر في مخرج منها فبادر الممرضة

- ممكن لو سمحتى نأجل استكمال البيانات لبكره.. أنا مش مركز دلوقتي؟

- حاضر يا فندم...بس ياريت يكون قبل الضهر.

- إن شاء الله متقلقيش

دخل هشام الغرفة وجلس على المقعد المجاور للسرير الراقدة عليه هذه الفتاة، واخذ يتأمل ملامح وجهها الملائكي وعشرات التساؤلات تدور في رأسه، ولكنه لم يجد لها إجابات، فشرع يحدث نفسه في حيره أرهقت عقله، ونفسه تتجاوب معه وترد عليه ردودا منطقية

- يا ترى اللي أنا عملته ده صح ولا غلط؟

- أكيد غلط

- غلط أزاي..دي حاله إنسانية.. مكنتش اقدر اسيبها وأمشى وهى في حالتها دي؟....

- بس أنت كده وقعت نفسك في مشكلة.. يا عالم هتخرج منها ازاى!

- اللي نيته خير..أكيد ربنا هيقف جنبه

اتجه نحو النافذة، ورفع رأسه إلى السماء، ورفع يده مبتهلا إلى الله، ان يخرجه

من تلك الورطة التي لم يقصد منها إلا إنقاذ روح إنسانة أشرفت على الموت.
لم يشعر إلا ودكتور محمود ينادي عليه ويسأله
- هشام.. سرحان في إيه؟
لم يجد ما يرد به، سوى أن يستكمل له تبعات تلك الورطة، التي القى نفسه فيها بدون قصد منه
- وناوي على إيه يا عم الشهم؟
- طمني انت بس.. حالة البنت إيه؟
- ما تخافش البنت هتقوم.. بس حالة الغيبوبة دي مش واضح لها ملامح دلوقتي.
- المستشفى عايزة بيانات البنت.. دبرني يا صاحبي
- ما تخافش يا هشام هنتصرف.. بس فيها عزومة..
- تعالى اوصلك.. ان كنت انت ولا الصائغ.. شوية اندال
- اكيد سابك وهرب.. عارفه خواف.. بس أنا مش هاسيبك
تحرك هشام ومحمود باتجاه باب الخروج نحو السيارة، وهما ما زالا يتباحثان في موضوع تلك الفتاة، التي لا يعلم احد الا الله، كم الأسرار التي تحملها في عقلها الصامت حتى الان.

- ٤ -

أستيقظ هشام على رنين المنبه، القابع على (الكوميدينو)المجاور لسريره، ولكنه ظل نائما تحت الغطاء، يفكر في هذا اليوم الجديد وما يحمل له من مفاجآت؟ كان ما يشغل تفكيره مصير تلك الفتاه الر اقدة بالمستشفى، وماذا سيسجل في استمارة بياناتها وهو لا يعلم عنها شئ، وماذا سيحدث لو سجل معلومات خاطئة واستيقظت، وكذبت البيانات التي أدلى بها، ماذا سيكون وضعه وموقف المستشفى منه، وما هو رد فعلها من فعلته تلك؟ كل هذه الأسئلة دارت بخلده، وفجأة لمعت برأسه فكرة، رفع الغطاء عن جسده وقام مهرولا إلى غرفه المكتب، واخذ يفتش في أوراق والده القديمة، وكأنه يبحث عن شئ مفقود، وبعد فترة من البحث، وجد ضالته المنشودة، فتنهد واخذ نفسا عميقا، تطلع إلى تلك الورقة، التي كانت مدفونة بين أوراق أبيه القديمة

- الحمد لله، هى الورقة دي اللي تنقذني من حيرتي.

أخذ الورقة في يده و اتجه إلى غرفة نومه، وضعها في جيب سترته، وسحب الفوطة من على الشماعة وذهب ليأخذ حماما ساخنا، خرج من الحمام واستكمل ارتداء ملابسه وهو يحدث نفسه

- الحمد لله...يارب يقدرني أكمل معروفي وأرجعها لأهلها.

لبس سترته التي بها الورقة، سحب سلسلة مفاتيحه وحقيبته، وخرج من الشقة، وأغلق الباب خلفه متجها إلى المستشفى.

وصل هشام للمستشفى، وقف عند غرفة الاستقبال، يبحث عن الموظفة التي طالبته باستكمال بيانات المريضة الر اقدة في الغرفة ٢١٠، لحظات و أقبلت عليه مبتسمة بوجهها البشوش

- صباح الخير...حضرتك هتكمل البيانات دلوقتى.
- أتفضلى شهاده ميلادها خدى منها كل البيانات
- كده تمام....طيب وصلتك بيها إيه؟

فكر هشام قليلا بماذا يرد عليها، ولكن صمته لم يطول تنهد وهو يبتسم

- بنت عمتي
- بس؟
- يعنى إيه بس؟ هو تحقيق.. هو ده مستشفى ولا فندق و انا بحجز غرفه لينا سوا.. مريضة في مستشفى خاصة وبدفع ثمن علاجها يبقى يهمك في إيه أنا قريبها ولا لاقيها في الشارع..

كان رده بضيق من هذا السؤال، الذي لا يعرف لها إجابة، فخرج عن شعوره، وارتفع صوته وتجمع حوله بعض العاملين والزوار، لمعرفه أسباب هذه المشاجرة، وبسرعة حضر دكتور محمود و أنهى هذا الموقف السخيف والمحرج لهشام، وأشار إلى الموظفة أن تعود إلى مكتبها لاستكمال عمل ملف للمريضة، و اقترب من هشام، وعلى وجه ملامح غيرواضحة، تدل على حدوث حدث جليل

- أنت فين يا بشمهندس منتظرك من الصبح..عندى ليك مفاجأة تعالى معايا
- ومد يده وسحب هشام من يده، وسارا معا في اتجاه الاسانسير، وهشام يشكره
- انت جيت في الوقت المناسب.. كنت حاسس اني في تحقيق.. مفاجأة إيه اللي حصلت
- خليك على نارك يا عم الشهم

ركبا المصعد وكلاهما صامت، هشام تدور الأفكار في خلده، ولكن خوفه من المفاجأة منعه من السؤال عنها، فظل ينظر لصديقه محمود بقلق، ومحمود

ينظر إليه بملامح غير واضحة المعالم، وكأنه يحاول تشويقه واستفزازه للسؤال عن المفاجأة، حتى وصلا للدور السابع، وخرجا من المصعد، وسارا معا في ذلك الممر الموصل للغرفة، ومع كل خطوة يخطوها هشام باتجاه الغرفة، توقف نبضه من نبضات قلبه، حتى شعر بهبوط منعه من التقدم نحو الغرفة، وكأنه مسحوبا بعنف نحو شيئا مرعبا، فتوقف عن السير، واسند ظهره على حائط الغرفة، ومحمود يفتح بابها، ويدعوه للدخول، لكنه رآه يترنح وكاد أن يسقط على الأرض، فاقترب منه وأسنده

- مالك يا هشام؟

- حاسس بهبوط وصداع.

أمسك محمود يده وجس نبضه، ونظر إليه مبتسما

- أنا بقولك مفاجأة ليه قلقان ومتوتر كده؟ يلا أدخل هما خطوتين وتشوف بعيونك.

خطا هشام خطوتين بداخل الغرفة، ووقف متسمرا في مكانه، لقد شلت المفاجأة حركته وتفكيره وحبست لسانه داخل فمه، وكل ما فعله هو النظر إلى تلك الفتاة الجالسة على السرير، يتمعن في جمالها وبراءة وجهها في ملابس المستشفى البيضاء، وهى تنظر إليه كطفلة حديثه الولادة لا تدرى عن هذا العالم شيئا، غارقة في صمتها وكأنها تتحدث بعيونها، لم يفق هشام من حالته إلا عندما ربت محمود على كتفه

- حمدلله على سلامتها

لم يرد هشام ولم يلتفت إلى محمود، بل كان مأخوذا بتفاصيل تلك الفتاة، فأردف محمود

- فاقت قبل الفجر تقريبا.. لكنها رافضه تتكلم أو ترد على اي سؤال.. بتاكل وبتاخد الدواء بس.. ورفضه تماما تنام.. وقعده كده من وقتها.. وكانها منتظراك

- يعنى مقالتش هى مين؟ او اسمها إيه؟ او اى معلومات عنها

- اطلاقا متقلقش.. أنا يادوب وصلت العيادة.. ورجعت على طول.. ومن ساعة ما وصلت متابع الحالة دقيقة بدقيقة.. دي عزومة ولا هزار

أقترب هشام من السرير بخطوات ثقيلة، وخوفه يرجعه للخلف، وفضوله في معرفة حقيقة هذا الكائن الملائكي يدفعه للامام، حتى وقف بجوار السرير على يمينها، وربت على كتفها مبتسما

- حمد الله على سلامتك

رفعت رأسها في سكون، ونظرت في عينيه، وكأنها رأت فيهما الطيبة وشعرت معه بالأمان، فردت على ابتسامته بابتسامه أجمل

- الله يسلمك

تهلل وجه محمود فرحا وضحك بصوت عال

- الله اكبر..بقى كده يا انسه قلقتيني عليكى الوقت ده كله ور افضه تتكلمى وتردى علينا ومنتظره الباشمهندس علشان تفرحيه بسماع صوتك الجميل... الف مبروك على شفائك اسيبكم مع بعض وشويه وارجع اطمن عليكى.

خرج محمود من الغرفة وأغلق الباب خلفه، سحب هشام مقعد ووضعه بجوار السرير، وجلس مستندا يديه على السرير بجوار الفتاة، وشرعا يتبادلان النظرات الصامتة، لوقت ليس بقصير، شقت الفتاة حاجز الصمت بسؤالها لهشام

- أنت مين واسمك إيه؟

- أنا المهندس هشام زناتى.

- هو حضرتك تعرفنى؟

- أكيد هعرفك لما تشرفينى وتتكرمى عليا وتعرفينى بنفسك. أسمك إيه؟

زاغت عيونها، وبنظرة بلهاء ليس لها معنى، ابتسمت بسخرية، وأخذت تنظر

في كل اتجاهات الغرفة، وكأنها تائهة في صحراء، كحمل صغير شرد بعيدا عن أمه، اغرورقت عيونها بالدموع وهى تنظر إليه، تمط شفتيها، تحرك زراعيها وتحرك كتفيها، وكأنها تطلق رصاصة بلا صوت

- معرفش

هب و اقفا من هول المفاجأة، وارتسمت على وجهه علامات التعجب، جحظت عيناه، و اقترب حاجباه من بعضهما البعض، عاد إليه التوتر من جديد، تلك هي المفاجأة الحقيقة، بل الكارثة يا هشام، اقترب منها وكأنه محقق في قسم شرطة

- أزاى متعرفيش اسمك؟

- معرفش..

كاد قلبه وعقله يصابان بشلل، ولكنه تماسك رغما عنه، اقترب منها واضعا يده على كتفها بعطف

- طيب اسم ابوكى..عيلتك.. ساكنه فين؟..نمره تليفون حد من اهلك؟

كانت تنظر إليه، ودموعها تغرق خديها، وصرخت

- معرفش..معرفش..معرفش.

.ضمت ركبتيها لصدرها، واخفت وجهها بينهما، وهى منهارة في بكائها، وكأنها قطة صغيرة، ابتعد عنها، وتراجع للخلف خطوتين، وهو يمسح وجهه وشعره بيده، كأنه يحاول ان يتذكر شيئا، تطلع إلى السماء من نافذة الغرفة، وهو ويردد من قلبه..

- لا حول ولا قوه الا بالله

مشى متجها للأريكة المقابلة للسرير، وألقى بجسده عليها، جلس وأخفى وجه بيديه، وهو يتمتم بأدعية إلى لله، أن يخرجه من هذه المحنة، نزلت الفتاة من على السرير وهى تبكي، و اقتربت منه بخوف، ونزلت على ركبتيها أمامه،

ورفعت يده من على وجهه، ونظرت له بكل براءة

- هو انت كمان متعرفنيش؟..طيب لاقيتنى فين؟.. وجبتنى هنا ليه؟ أنا عرفت منهم ان ليا هنا فترة طويلة و انت جنبى! طيب ليه عملت كل ده.. اما انت متعرفنيش..

ثم عادت وضحكت ببكاء هستيري، أمسكت يديه ونظرت في عيونه، وأردفت

- لالا انت تعرفنى بس أكيد بتهزر صح؟ظل ينظر إليها، ولا يعرف بماذا يجيب على كل تلك التساؤلات، التي ليس لها إجابة، وضعت رأسها على ركبته، وهى تبكي من قلبها من شده خوفها، من غربتها في هذه الدنيا التي لا تعرف فيها أحدا، نهض هشام من مكانه، و ابتعد متجها نحو باب الغرفة، فوقفت الفتاة في مكانها تنظر إليه، وكأنها ريشه في مهب رياح الحياة، ضمت يديها لصدرها، ثم أخذت تقرض أطراف أصابعها وترتجف وصوت بكائها يعلو، خوفا من خروجه وتركها وحيده في هذا العالم الغريب عنها.

كانت خطوات هشام نحو الباب ثقيلة، وكأن أقدامه ترفض الخروج من الغرفة، وقف ثم استدار ونظر إليها، ودموعه قد أغرقت وجهه ولحيته الخفيفة، وتقدم نحوها خطوة، فهرعت نحوه واحتضنته بشدة، وكأنها طفلة أعادوها لوالدها بعد غياب، وتعلقت برقبته وتشبثت بملابسه

- متسبنيش أنا ماليش غيرك..ارجوك خليك جنبى...انا معرفش حد غيرك في الدنيا

وقف هشام كلوح من الثلج لا يعرف ماذا يفعل، ولكن سخونة أنفاسها وضربات قلبها في صدره أذابت الثلج ورفع يديه وحضنها بقوه ومسح على شعرها

- متخفيش أنا معاكى ومستحيل أتخلى عنك مهما كانت الظروف

رفعت رأسها عن صدره، ونظرت إليه مبتسمة، وكأن بكائها زادها جمالا، فمد

يده ورفع شعرها عن وجهها، ومسح دموعها من فوق خدها

- أوعدك انى متخلاش عنك ابدا.. واساعدك في البحث عن اهلك وأرجعك لهم

عاودت الفتاة وضع رأسها على صدره، وكأنها تريد أن تسمع هذا الوعد من دقات قلبه، اخذ هشام نفسا عميقا وأخرجه ببط من بين شفتيه، وكأنه يستجمع قواه، أبعدها عن صدره، وامسك يدها وأخذها ومشيا نحو الأريكة، جلس وأجلسها بجواره، وثبت عيونه في عيونها

- دلوقتى أنا و انتى في مشكلة كبيرة.. لازم نفكر هنطلع من هنا ازاى..وبدون مشاكل

- يعنى إيه مش فهمه؟

- يعنى لو إدارة المستشفى اكتشفوا انك فاقده الذاكرة و اني معرفكيش هيبلغوا الشرطة ويعتبرونى الجاني والمسئول عن الحادثه اللي حصلتلك أفزعتها كلماته فاقتربت منه، وأمسكت كف يده بكفيها الصغيران، ونظرت في عيونه

- اللي هتقولى عليه أنا هعمله.. المهم انك متسبنيش ولا تبعد عني

سحب كفه ونهض بعيدا عنها، و اتجه نحو النافذةوفتحها ليستنشق بعض الهواء، ويفكر في تلك الورطة مع هذه الطفلة التائهة، نهضت الفتاة من مكانها ولحقت به، اقتربت منه ومسحت على كتفه، وكأنها تريد أن تخرجه من تلك الحالة، التي تعرف جيدا أنها السبب فيها، أستدارونظر إليها مبتسما، فابتسمت له

- هتسمينى إيه؟

رد عليها هشام وكان مازال مبتسما لبراءتها قائلا

- لو عليا كنت سميتك جميلة أو ملك لكن الظروف حكمت يكون اسمك

سماح رشاد شاهين.. ولازم تحفظي الاسم ده كويس لأنه هيكون اسمك إلى أن يشاء الله وأرجعك لأهلك.

اقتربت سماح من هشام، ووقفت على أطراف أصابع أقدامها، وطبعت قبله طويلة على خده جعلته يتصبب عرقا، ودغدغت أعصابه، ولكنه تدارك الموقف و أبعدها عنه بلطف، وأخذها من يدها متجها نحو السرير قائلا

- يلا بقى نامى شويه وارتاحى.

نظرت إليه، وهى تضحك كالأطفال، وتمسك بيده

- مش عايزه انام خليني قعده معاك

- بس أنا لازم انزل دلوقتى...عندي شغل عايز أخلصه علشان ارجعلك بسرعة نعمل إجراءات الخروج من المستشفى

سمعت كلامه كأنها طفلة مطيعة، ساعدها في الصعود للسرير، ودثرها بالغطاء وطبع قبلة حانية على جبينها وطمأنها بسرعة عودته، وأعاد التنبيه عليها أن لا تتحدث مع احد، ولا ترد بأكثر من اسمها سماح رشاد شاهين، استدار وأعطاها ظهره، متجها للباب فتحه وغادر الغرفة.

بينما هشام يمشى في الممر الموصل للمصعد، حتى اصطدم بدكتور محمود الذي سأله عن أخبارها، ابتسم هشام له واخبره أنها بخير وتريد مغادره المستشفى والعودة للمنزل، فانزعج محمود، وسأله هل عرف منزلها وأسرتها، فاخبره انه يجب أن يخرج بها من هنا، وبعدها سيتصرف، فربت محمود على كتفه،وطمئنه انه بمجرد ان يطمئن على حالتها، سيكتب لها إذن الخروج، شكره هشام وغادر متجها نحو المصعد.

- ٥ -

عاد هشام للمستشفى حاملا الكثير من حقائب الهدايا، اتجه للمصعد صاعدا لغرفة سماح التي كانت تنتظره في خوف وقلق، وما ان دق الباب وفتحه، حتى قفزت من على السرير نحوه، وتعلقت برقبته متشبثة فيه بقوة

- كنت خايفة مترجعش

- ازاى بقى تقولى كده؟

وأشار لها برأسه أن تتقدم أمامه، ووضع أمامها الحقائب،

- تعالى يا ست البنات أقعدي و اتفرجى على الحاجات البسيطة اللي أنا اشتريتهالك.

جلست بجواره كطفلة سعيدة بهدايا العيد، مدت يدها لتخرج ما في الحقائب، وهى معجبة بهم وتنظر له بفرح وسعادة، وكأنه بابا نويل يحمل إليها هدايا عيد الميلاد..

- الله حلوين اوى... زوقك جميل جدا

- مبروكين عليكى... قومى بقى البسيهم وشوفى المقاسات مظبوطة

ضمتهم بيدها إلى صدرها في سعادة، وكطفلة فرحه بملابس العيد، سارت بخطوات واسعة نحو الحمام، دخلت وأغلقت الباب خلفها، وما هى إلا دقائق، حتى خرجت كعروس جميل، تحمل بيدها ذلك الوشاح الكشميري اللون و اقتربت منه مبتسمة

- ده بيتلبس ازاى؟

أخذ الوشاح من يدها، ووضعه على رأسها، ولف إطر افه حول عنقها

- أنتى كده اجمل

- ده كان استيل لبسى؟

- ده الاستايل اللي يليق بجوهره غاليه مثلك.

نظرت إليه سماح في خجل، وأطرقت رأسها للأرض، وبدت وكأنها قديسة، وهالات النور تحيط برأسها، كانت عيونها تلمع، و ابتسامتها تشع سعادة، كانت تتأمل عيونه، وكأنه كل الدنيا والناس، تقدم نحوها و اقترب منها فامسك كفها برفق قائلا لها

- إحنا هنخرج من هنا دلوقتى... أنا خلصت كل الإجراءات.

اتسعت عينها فرحا، وهزت رأسها بالمو افقة

- أنا هاخدك معايا بيتى طبعا.

- اهلك مو افقين؟

- ماهى ده المشكلة اللي عايز اناقشك فيها

مسح هشام ذقنه بأنامله، وشخص ببصره في سقف الغرفة، وسرح بعيدا، فاضطربت من حيرته

- اهلك رفضوا يستقبلوني عندهم..

وترقرقت عينها بالدموع، فجز على أسنانه وهز رأسه نافيا

- أنا عايش لوحدي في البيت بعد وفاة والدي ووالدتي.. وجواز أخو اتي البنات

- وبسرعة وبدون تردد قالت سماح

- أنا هعيش معاك..لان الإنسان اللي زيك مستحيل حد يخاف منه

- يعنى أنتي و اثقة فيا أوي كده؟

سحبت نفسا إلى صدرها، ثم هزت رأسها بالمو افقة، أقترب منها مبتسما، وأمسك بذراعيها، ونظر في عينيها، والسعادة تحتل ملامحه الوسيمة

- يشهد الله عليا أنك هتكوني عندي أمانة.. ربنا يقدرني أحافظ عليها من نفسي أولا ومن الناس ثانيا إلى أن أوصل لأهلك وارد الأمانة لأصحابها.

أبتسم الاثنان، ونهضا استعدادا لمغادرة الغرفة، وحملا حقائبهما وخرجا مغادرين المستشفى

أثناء العودة إلى البيت، كانت سماح تجلس بجوار هشام الجالس على عجلة القيادة في سعادة، تنظر من نافذة السيارة على العالم الخارجي، وكأنها طفلة لا تعرفه، مدت يدها والتقطت أنامله، احتضنتها وهي تضغط عليهم بقوة، وكأنها تريد أن تقول له . أنا ماليش غيرك في هذه الدنيا . نظر إليها مبتسما وطمئنها أنه سيظل بجوارها ومعها سندا وحماية.

في أحد شوارع منطقه حدائق القبة، أمام عمارة قديمة مكونة من أربعة طو ابق، وقف هشام بسيارته، ونزل منها، وفتح لها الباب فنزلت على الفور، وبيدها تلك الحقائب التي اشتراها لها، فمد يده وامسك يدها، ودخلا سويا من باب العمارة، وصعدا للشقة بالدور الثاني، وعندما وقفا أمام باب الشقة، أولج هشام المفتاح في ثقب الباب، تراجعت سماح عدة خطوات للخلف، عندما فتح الباب، وأمرها بالدخول،لكنه اندهش من تراجعها،فقبض جبينه في اندهاش

- انتي خايفه تدخلي؟

أطرقت سماح رأسها للأرض خجلا، ولم تجبه، فأقترب منها وربت على كتفها في حنو

- أنا مقدر حالتك وعاذرك في خوفك مني.. بس صدقيني أنا فكرت في حلول كتير غير أننا نعيش مع بعض في شقة واحدة.. لكن ما باليد حيلة ظروفي المادية لا تسمح أنى احجز لك غرفة في فندق.. ومن ناحية ثانية حالتك الصحية متسمحش أنك تعيشي لوحدك.. مش هكون مطمن عليكي

هزت رأسها بالمو افقة، وتقدمت في ثقة ودخلت الشقة، ودخل هشام خلفها، وأغلق باب الشقة في هدوء، ونظر إليها مبتسما

- نورتى بيتي المتواضع

أمسك يدها، وأخذها متجها لإحدى الغرف، فتح بابها ودخلا سويا، غرفة متسعة، قديمة الأثاث، تفوح منها رائحة الماضي، فتح النافذة فتسلل

الضوء إليها، وشرعت تتأمل تلك الصور المعلقة على جدرانها، صورة كبيرة لوالد هشام وبجواره أمه، شعرت بالطمأنينة، انتبهت على صوته

- ده بقى يا سماح هتكون غرفتك

شخصت سماح ببصرها في الصورة المعلقة على الحائط، اقتربت منها ووقفت أمامها قائله

- صورة مين دول؟

- والدي ووالدتي الله يرحمهم

- يعنى دي غرفتهم

أقترب منها وهز رأسه مبتسما

- شفتي أنت غالية عندي قد ايه

ابتسمت وهى تنظر إلى الأرض خجلا، التفتت حولها وتأملت السرير الكبير، فشعر انها تريد ان تستريح، فتركها، ومشى في اتجاه باب الغرفة، ثم وقف واستدار إليها، وأشار إلى حقيبة ورقية على السرير، اخبرها بأن بها ملابس للبيت، تستطيع أن تبدل ملابسها، وان الباب به مفتاح، لتغلقه على نفسها، كلما دخلت الغرفة،طلب منها أن تتصرف بحرية وكأنها في بيتها، وخرج وأغلق باب الغرفة خلفه، فتذكرت أنها بلا بيت، وتساءلت أين بيتها؟ و أين أهلها؟ و أين حياتها؟.

مر الوقت سريعا وهشام في المطبخ يعد وجبه الغداء، بينما سماح جالسة في غرفتها الجديدة، انتهى هشام من إعداد السفرة، بكل أنواع الطعام والفاكهة والعصائر، أتجه إلى غرفه سماح اقترب على الباب مناديا

- سماح يلا الغداء جاهز.

- نعم..حاضر خارجه ثواني

أبتعد عن الباب، عائدا إلى السفرة، سحب الكرسي وجلس في انتظارها، وما هى إلا ثوان حتى خرجت سماح من غرفتها، بكامل هيئتها التي خرجت بها

من المستشفى، اقتربت وجلست على المقعد المقابل له على السفرة، فقبض هشام جبينه في اندهاش

- ليه مغيرتيش هدومك؟

نظرت إليه سماح، وهزت رأسها رافضه الرد، فمسح هشام ذقنه بأنامله مبتسما

- نأكل بقى والأكل سخن

ساد الصمت بينهما وهما يتناولان الطعام، الا من نظرات وابتسامات لبعضهما، كسر هشام حاجز الصمت بسؤاله عن رائها في الطعام، فلتت منها ضحكة رائعة، وأشاحت بوجهها، فجز هشام على أسنانه وسألها باستغراب

- إيه ماله الأكل؟

نظرت إليه، وهى تضحك في خجل من رد فعله المتوقع

- بصراحة ميفرقش حاجة عن أكل المستشفى

زم هشام شفتيه واخذ نفسا حارا

- طيب بكره بقى فرجينا أكلك يا شيف سماح

تنبهت حواسها، وجحظت عيناها، وردت بسرعة وهى تضحك

- أنا معرفش أطبخ

أبتسم هشام وغمز إليها بعينه، وأشار إلى الطعام المرصوص على السفرة،

طيب كلى بقى واحمدي ربنا أن عندك شيف عظيم اسمه هشام

نظرا إلى بعضهما البعض، وضحكا بسعادة ورضا، وأكملا تناول الطعام، شعر هشام أن حياته قد تغيرت، وان الله قد أرسل هذا الملاك، ليؤنس وحدته، ليعوضه عن فقدان أسرته، شعر أنها هدية من الله، ويجب عليه أن يحافظ عليها، حتى لا يخسرها، لكنه عند وعده لها، أن يفتش عن أهلها، ويعيدها إليهم، وبعدما تعود، يترك لها حرية التصرف أن تعود إلى أهلها، أو أن تبقى معه حتى نهايات العمر.

- ٦ -

عاد هشام من عمله، دق جرس الباب، فهرولت سماح لتفتح الباب، واستقبلته بابتسامة جميلة، ونظرت إليه في دهشة، وسألته باستغراب شديد

ليه بترن الجرس كل ما ترجع للبيت هو أنت بتنسي المفتاح كده على طول

دخل هشام ألقى تحية السلام،ثم أغلق الباب

- دي تعاليم رسولنا الكريم إننا نستأذن قبل دخول المنزل وعلشان انتي تاخدي حذرك

اقتربت سماح منه،وأمسكت يده، وسحبته نحو السفرة، وأشارت بيدها للطعام

- إيه رأيك؟

- شئ جميل طبعا تسلم أيدك

سحب الاثنان المقاعد، وجلسا ليتناولا الطعام في صمت قطعه هشام

- على فكره يا سماح أنا أخذت أجازه أسبوع علشان نبدأ رحلة البحث عن اهلك

نظرت إليه بخوف وقلق، وتحولت ابتسامتها لحزن، وهى تهزرأسها بالمو افقة، ربت هشام على كف يدها في حنو، وكأنه شعربما يدور بعقلها، أنها خائفة من الفشل في العثور على أهلها، وساعتها سيقرر هشام التخلص منها،او انها تخشى ان تترك هشام، بعدما اعتادت على وجوده في حياتها، سألته في خوف

- ها نبتدي من فين؟

- من مكان الحادث... ونمشي عكس اتجاه سيرقدوم الأتوبيس.. ونقف عند كل كافتيريا مرعليها الأتوبيس في الطريق احتمال حد يتعرف عليكي..أو يكون

حد سأل عنك..

قبضت جبينها وهى تستمع إليه، فابتسم لها مطمئنا، أنها ستعود إلى أهلها قريبا جدا

- تفائلي خير يمكن ربنا يكرمنا وتفتكري وتوفري علينا التعب.

ترقرقت عيونها بالدموع

- طيب لو ما فتكرتش هيكون مصيري ايه؟

- ولا يهمك أنتي على راسي وفى عيوني ومستحيل أتخلى عنك.

أطرقت سماح رأسها إلى الأرض في شرود، ربت هشام على كتفها بحنو

فى صباح اليوم التالي

- استيقظت سماح في السادسة صباحا، على صوت خطوات هشام، بعد خروجه من الحمام، وذهابه لغرفته ليصلي صلاة الفجر، نهضت سماح من سريرها، وخرجت من الغرفة إلى الصالة تبحث عن هشام فلم تجده، وقفت مترددة في الاقتراب من غرفته،ولكنها بعد تفكير اتجهت لغرفته، أمسكت مقبض الباب المغلق وأدارته بهدوء، ثم أدخلت رأسها من وراء الباب وقالت بابتسامة

- صباح الخير... ممكن أدخل؟

كان هشام قد انتهى من صلاته، وجلس يردد أذكار الصباح، التفت إليها مبتسما

- صباح النور.. انتي دخلتي خلاص

- سمعت صوتك صاحي قولت أسالك تحب تفطر إيه؟

- ياريت يا سماح لو سمحتي ما تدخلي غرفتي تاني... اقفي في الصالة ونادي عليا و أنا أخرجلك

شعرت سماح بالخجل يطوق وجهها، أخفضت رأسها إلى الأرض، واعتذرت وهرولت إلى خارج الغرفة وهى تبكي، ودخلت غرفتها وأغلقت الباب، خرج هشام مسرعا خلفها ووقف في الصالة ونادى عليها، شعر انه تصرف بحماقة، لقد افقده موت أمه وزواج إخوته البنات، القدرة على التعامل مع الجنس الآخر، كل تعاملاته مع الرجال، إن لهن معاملة خاصة يا هشام

- سماح لو سمحتي تعالى عايزك

جففت دموعها بسرعة، حتى لا يشعر بمدى الحزن، الذي انتابها من رد فعله، فتحت باب الغرفة، وخرجت إلى الصالة، ووقفت أمامه وأطرقت رأسها للأرض، نظر إليها وبصوت معتذر

- ما تزعليش مني بس صدقيني كده أفضل ليكي وليا.. أنتي أمانة ولازم أحافظ عليها من نفسي..

- أنا عارفه إن وجودي هنا عاملك مشكلة

انهمرت دموعها من عينيها كشلال، منعها من الكلام، شعر هشام بندم شديد من رد فعله

- أزاي تقولي كده أنتي منوره البيت.. وحياتي كمان

حاولت أن تمحو آثار الحزن، وتعيد الأجواء إلى طبيعتها، فقالت وهي تحاول رسم ابتسامة على وجهها، أنها لن تكون مصدر للشجار، كلها أيام وستعود إلى أهلها، وسينساها إلى الأبد

- عايز تفطر إيه؟

شعر بالراحة النفسية، ورد بابتسامة هدأت من الموقف كثيرا

- عقابا ليا علشان زعلتك أنا اللي هعمل الإفطار. و أنتي أدخلي اتوضي وصلي الفجر

نظرت إليه مبتسما، ثم تركته وذهبت إلى الحمام تتوضأ، و اتجه هشام إلى

المطبخ لإعداد الإفطار، أتم إعداد الإفطار في دقائق معدودة، ووضعه على السفرة ونادى عليها، فخرجت من غرفتها وهى ترتدي ملابس الخروج التفت إليها في دهشة

- بر افو عليكي انك جهزتي علشان نفطر وننزل بسرعة

فابتسمت في صمت، ابتسامة صفراء، وجلسا ليتناولا وجبه الإفطار فيصمت.

-٧-

استقلا السيارة في بداية رحلة البحث عن الماضي، وكشف غموض تلك الشخصية، ومحاولة التخلص من تلك الورطة، وعودة سماح إلى أسرتها، وعودة حياته إلى سابق عهدها في سلام، يعاني الوحدة، في انتظار شريكة حياته التي ستغير كل حاضره ومستقبله، كم تمنى ان لا يعثر على أهلها ليكون لها أهلها، وتكون هي أسرته.

سار هشام بالسيارة في نفس الطريق حتى وصل إلى مكان الحادث، أوقف السيارة على جانب الطريق، وترجل على قدميه على رمال الصحراء، وسماح متشبه بيده كطفلة صغيرة، نظر إليها في محاولة لشرح ما حدث في ذلك اليوم.

- أنتى كنتى هنا على الأرض.

وأشاح بيده بعيدا في الفضاء

- وهناك كان الأتوبيس على جنبه ضاربه فيه النار.

كانت تسمع إليه، وتنظر حولها تائهة لا تعرف بماذا تجيب، وكأنها لأول مرة تشاهد هذا المكان.

- المكان ده مش فكرك بحاجة؟

كان صوتها قد أخذ في التهدج منذرا بالبكاء

- مش فاكره حاجة

هز هشام رأسه بحزن وربت على كتفها

- طيب يلا نتوكل على الله ونكمل الطريق

سار الاثنان في طريقهما للسيارة لاستكمال الرحلة للإسكندرية، كانت سماح طوال الطريق تلتفت عن يمينها وشمالها، وكأنها تبحث عن مخرج من هذه الدوامة، أو لعلها تتذكر شيئا من الماضي الضائع، انهمرت دموعها على

خديها، لتحفر طريقا لألمها وحزنها.

أوقف هشام السيارة على جانب الطريق والتفت لسماح محاولا تخفيف الحالة النفسية التي انتابتها فجأة، فارتعش جسدها

- ليه الدموع والحزن؟

أختنق صوتها من البكاء ولم تستطيع الرد، فربت على كتفها في حنو، قبل رأسها واحتضن كفها

- قولي يا رب... إحنا لسه في أول الطريق

- أنا خايفة

ابتسم والحزن يعتصر قلبه عليها، وطمأنها ليبعث في روحها الأمل

- ربنا معانا.. وأكيد حالك دلوقتى فيه خيرورحمه من الله، أنتي كنني ميتة، وربنا رحمك و أنقذك، و أنتي متعرفيش الغيب يمكن لسه فيه خير...وحدي الله

مسحت دموعها بظهر كفها و ابتسمت وهى تردد

- لا اله إلا الله.. محمد رسول الله

أعتدل في جلسته، وأدار السيارة لاستكمال الرحلة، وبعد فترة، وصل لأول استراحة في الطريق، ودخل وفى يده سماح وجلسا على اقرب مائدة، واخذ يبحث عن النادل، حتى وجده فرفع يده ونادى عليه، فحضر النادل مسرعا ووقف أمامه، فنظر هشام إليها،

- تحبي تشربي إيه؟

هزت سماح رأسها رفضا فنظر هشام للنادل الو اقف في انتظار معرفة الطلبات

- هات عصير برتقال فريش وفنجان قهوة سادة

هز النادل رأسه إيجابا و انصرف، أخذت تنظر للمكان بنظرات فاحصة، وكأنها تحاول اكتشافه،وكان هشام يتابعها في قلق، على أمل أن تتذكر شئ.

- ده أخررست في الطريق قبل مكان الحادثة، يعنى أكيد الأتوبيس وقف بيكم هنا

زمت سماح شفاهها وأطرق رأسها للأرض

- مش فاكره حاجة

أحضر النادل المطلوب و انزله أمامهم على المائدة، نظر له هشام مبتسما

- انت بتشتغل هنا من زمان

- أيوه يا بيه من خمس سنين تقريبا

- يعنى سمعت عن حادثة أتوبيس اللي كانت من شهر تقريبا

- أمال يا بيه.. منهم لله السواق والتباع والمخدرات اللي شربوها هنا بعد الغداء

- خط سير الأتوبيس كان من إيه؟

- كان جاي من إسكندرية رايح القاهرة

اعتلت ابتسامة أمل على وجه هشام، وأشار بيده نحو سماح

- تفتكر الآنسة دي كانت ضمن ركاب الأتوبيس اللي نزلوا على الاستراحة قبل الحادثة

التفت النادل إليها، واخذ ينظر لها متفحصا وجهها وملامحها، ثم هز رأسه نافيا

- بس الآنسة كانت بالفعل من ركاب الأتوبيس المنكوب

- يا بيه الكلام ده حصل من شهر و أنا كل يوم بيمر عليا ستات وبنات أشكال وألوان هفتكر مين ولا مين؟

- واستئذان مغادرا،نظر هشام لسماح مبتسما، محاولا تخفيف اثر كلام النادل

- أنتي بقه أسكندرانية ولا قاهرية

ابتسمت سماح بحزن محاولة رد الدعابة

- أنا هاشمية

نظر إليها مبتسما ثم عقد حاجبيه قائلا

- محافظه جديدة ده يا سماح؟

ضحكت سماح بشده

- دي مدينتي اللي مليش غيرها بعد ربنا

- وهو عمره ما هيتخلى عنك مهما كانت الظروف

أخذت نفسا عميقا، وزفرته بارتياح، وكان كلام هشام قد أثلج صدرها، نادى هشام على النادل مرة أخرى، أعطاه الحساب، ونهضا مغادرين المكان في طريقهما إلى السيارة لاستكمال الرحلة للإسكندرية، وقفت سماح سانده ظهرها على السيارة، نظرت إليه وأشارت بيديها شرقا وغربا

- هنروح فين؟

- تقصدي إيه؟

- دلوقتى إحنا ما نعرفش أنا منين؟ هل أنا من إسكندرية وكنت نزله القاهرة ليه؟ أو من القاهرة طيب كنت بعمل إيه في إسكندرية؟

قطعت كلامها دموعها المنهمرة على خديها، وأطرقت رأسها في الأرض،أقترب منها وربت على كتفيها بحنان

- بلاش اليأس ده من الأول كده.

- أنا تايهه.. تقدر تقولي هندور فين؟ والبداية هتكون من إسكندرية ولا القاهرة

- هندور في كل مكان وهنزل اعلان في الجرايد بصورتك وكمان هنروح لدكتور نفساني يساعدك صدقيني يا سماح أنا هعمل كل شئ يرضيكي مهما كلفنى الأمر.

فتح هشام باب السيارة، فجلست سماح على المقعد، وأغلق الباب وركض هشام إلى الجانب الآخر واتخذ مجلسه أمام عجلة القيادة، وأدار السيارة في اتجاه الإسكندرية.

- ٨ -

مرت ستة أشهر من البحث دون جدوى، كان هشام عائدا من عمله، دق جرس الباب كالعادة، ولكن سماح لم تفتح له الباب، فعاد ودق عدة مرات ولكن لم يكن هناك إجابة، سكن القلق صدره وأخذت الوساوس تلعب برأسه. أين ذهبت؟ ولماذا خرجت دون أن تخبرني؟ فهي لا تغادر الشقة إلا ويدها في يدي. دقائق مرت عليه كدهر، فاضطر أن يفتح الباب بالمفتاح، الذي لم يستعمله منذ وجودها معه بالشقة، مد يده في جيب البنطلون، واخرج سلسلة المفاتيح، وأولج المفتاح في ثقب الباب، فتح الباب ودخل بسرعة وأغلق الباب خلفه بقوة، التفت فوجدها تقف أمام باب الغرفة وهى ترتدي إسدال الصلاة، فنظرت إليه مبتسمة بخجل

- أسفه أنى خليتك تدق الجرس كثير وتنتظر على باب الشقة، كنت بصلي وما ينفعش اقطع صلاتي

تنهد هشام مبتسما، وهو يلقي بحقيبته على الانترية، ويلقي بجسده على اقرب مقعد

- تقبل الله منك.. و أنا مبسوط جدا.. أنك بقيتي ملتزمة في صلاتك

- الحمد لله وكمان بقرأ قران باستمرار ووجدت كتب جميلة أوي في مكتبة والدك بقراها

- بارك الله فيكى

واستئذان منها متجها لغرفته، فهرولت خلفه

- هجهز الغدا مسافة متغير ملابسك وتصلي العصر

- لا أتغدي انتي براحتك أنا هصلي و أنام

- مالك يا هشام أنت تعبان

سرح هشام وكأنه لم يسمعها، بل تركها ودخل إلى غرفته مباشرا، ألقى بجسده على السرير، بدون أن يغير ملابسه، حملق في السقف، وتذكر ذلك الحدث الذي عقد كل مخططاته، سرح بخياله يتذكر ما حدث اليوم في الشركة، حينما دخل عليه محمد الصائغ في مكتبه ووجهه مهلل من السعادة، أقترب نحوه و انحنى ليقترب من مستواه، وهمس في أذنه، قبل أن يجذب المقعد ويجلس حذوه، وقال في سعادة

- عندي ليك خبر بمليون جنيه

- خير قول وفرحني ليا كتير مفرحتش.

- أوعدني الأول بغداء في مطعم فاخر

- هتقول ولا اسيبك و اقوم.

وهم و اقفا فمد محمد يده، وأجلسه مرة أخرى

- أنت كان نفسك في إيه وليك أربع سنين بتجرى عليها؟

قاطعه هشام وهو يضرب بقبضة يده على سطح المكتب في انفعال

- تقصد الإعارة للسعودية؟

- ايوه يا سيدى

اسمك نزل في كشوف الإعارة.. أنا شفته بنفسي.. وقولت لازم أكون أنا أول واحد يفرحك

مسح هشام رأسه بأنامله وتنهد بحزن، نفخ في الهواء، اخرج عليه سجائره، سحب واحدة وأشعلها، وشرع ينفخ دخانها في الهواء، ومحمد الصائغ في حالة من التعجب من حالته تلك، قال هشام بحزن

- أنا هعتذر عن السفر

- أنت بتتكلم بجد يا هشام؟

- ايوه بجد طبعا أنا مقدرش أسافر.

قضب محمد حاجبيه في اندهاش

- و إيه السبب اللي يمنعك من تحقيق حلم عمرك.

لم يرد هشام على سؤاله، وشرع ينظر إليه مستغربا سؤاله.قطعت أفكاره طرقات الباب الصادرة من سماح، أجابها هشام بسرعة، فاقتربت من باب الغرفة، ونادت عليه

- لو سمحت عايزة أكلمك

نهض هشام من سريره، وتوجهه نحو الباب، مد يده على المقبض وأداره، وما أن فتح الباب حتى تقدمت نحوه في وجل.

- مالك يا هشام إيه اللي مدايقك

أطرق هشام في التفكير..ثم أقترب منها

- طيب تع إلى نقعد في الانتريه

جلست سماح على الكنبة، بينما جلس هشام على المقعد المقابل لها،ابتسمت وهي تتأمل ملامحه، التي تحاول أن تخفي شيئا، أخذت تستدرجه، كأنه طفل صغيريخفي شيئا عن أمه، وهي تطمئنه بأنها لن تعاقبه، تمسح على رأسه، تتوعده أنها ستجلب له شيكولاتة، وستأخذه إلى الملاهي، ما عليه سوا أن يعترف بما يعكر صفو حياته.. بدون خوف

- أحكى بقى وما تخافش؟

- فرصة للسفر كنت منتظرها من أربع سنوات جيت النهاردة.. ولكني مضطر ارفضها.

اختنقت الكلمات في حلقها، وترددت الكلمات ان تخرج من شفتيها، شعرت أن النهاية تدق أبوابها، ويجب عليها أن ترحل، وكفى ما فعلته حتى الآن، لقد أربكت حياته، والآن ستضيع تلك الفرصة التي ينتظرها منذ سنوات، يجب أن ترحل، لتحل كل مشاكله، التي كانت السبب فيها بدون قصد منها.

- و إيه سبب الرفض اللي مخليك مضايق كده؟

تنهد بحزن ولم يرد، فأكملت كلامها

- أنا عارفه إني مشكلة في حياتك، لكن أنا بقولك متقلقش عليا، أنا خلاص عرفت الشارع والجيران وممكن أعيش لوحدي هنا في الشقة.

- انتى مجنونة ازاي تقولي كده.

- أنا مستحيل أكون عقبة في طريق مستقبلك، أنت كلمتني عن حلمك في السفر ده كنير، وازاي هو هيغير حياتك للأفضل.

- و ايه التغير يعني أنا هنا مهندس وهناك هكون مهندس

حاولت أن تشرح له أن الوضع الآن أفضل من ذي قبل، لقد استقرت حالتها، وتستطيع ان تكمل حياتها بمفردها، وستفتش عن أسرتها، وحتما ستجدهم، لكنه أشار لها بيده

- خلاص يا سماح ده قرار نهائي وغير قابل للجدال.

وقفت سماح في عصبية، و انسحبت متجه لغرفتها، تاركة هشام وحيدا في الصالة، هز هشام رأسه يمينا ويسارا مبتسما

- مجنونة لو فكرت انى ممكن اتخلى عنها.

نهض من جلسته متجها لغرفته، في حين جلست سماح على طرف السرير، تفكر في مخرج من هذه الأزمة، كيف ترد له جميله، وتساعده في تحقيق حلمه، الذي جاء أخيرا بعد طول انتظار، أحست بوخز في قلبها، عندما خطر ببالها سؤال، ماذا لو أخذ هشام باقتراحها وتركها وسافر.

نهضت من جلستها، وهى تستعيذ بالله، في نفس اللحظة لمعت فكرة في عقلها، لكنها حاولت تجاهلها، ولكنها لم تستطيع، لأنها الحل الوحيد، الذي به تستطيع أن ترد لهشام معروفه، ظلت تجوب الغرفة، وهى تعصر كفيها، وتدعوا الله أن يرشدها للطريق الصحيح، وما كان منها إلا أنها توضأت، ثم

فرشت سجاده الصلاة ووقفت لصلاة الاستخارة، فيما عزمت عليه.
فى صباح اليوم التالي، أستيقظ هشام مبكرا كعادته،خرج من غرفته، تفاجئ بوجود سماح، جالسه في الصالة وكأنها في انتظاره، أقترب منها في وجل، وسألها مستغربا عن السبب، فرفعت رأسها ونظرت إليه، وكان على وجهها علامات استفهام كثيرة،
- عايزه أتكلم معاك في موضوع مهم جدا
- يعنى الموضوع ده ما ينتظرش لما ارجع من الشغل
نهضت من مكانها وبسرعة ردت
- لا طبعا مهم جدا تعرفه قبل ما تروح الشغل
- قلقتينى قولي في إيه؟
اختنقت الكلمات على شفتيها، لكنها قالت وبسرعة لتخفي انفعالها
- تتجوزنى يا هشام؟
تدلى فك هشام، و انقطعت أنفاسه، وزاغت عيناه شرودا، في ذلك العرض الذي لم يكن يتوقعه أبدا في حياته، أن تطلب فتاة جميلة يده للزواج. أقترب منها خطوة وضع يداه على كتفيها مبتسما
- انتى بتتكلمي بجد؟
نظرت إليه، وهزت رأسها إيجابا و ابتسمت، و اقتربت منه في محاولة لإثبات ذلك الطلب
- طبعا بجد.. قولت إيه مو افق تتجوزني
ضربات قلبه خفقت بشدة من السعادة، فعلى مدارتلك الشهور كان يتمني أن يطلب منها ذلك الطلب، لكن خجله كان يمنعه، خوفه من شعورها بأنه يستغل حالتها، فيكون قبولها رغما عنها، فليس أمامها حل آخر، سوى المو افقة، فأين ستذهب وهشام بالنسبة إليها كل الدنيا كل الناس..

- مو افق طبعا ده أمنيتي من يوم ما فوقتي في المستشفى وعيني جت في عينك اقترب منها وهو يضحك منفرط سعادته وحضنها بقوة وهو يكمل كلامه

- بحبك يا سماح بحبك أوي

غاصت في حضنه تستمع لكلامه ودقات قلبه،والحزن يعتصر قلبها، والدموع تتساقط من عينيها، أبعدها عن صدره قليلا ونظر إليها فتراجعت خطوتين للخلف، ومع سقوط دموعها على خديها، التقت بعيونه، وسرحت في تلك البراءة والرجولة التي تتمثل في حبيبها فمسح دموعها وسألها

- ليه دموعك دلوقتى؟

- مكنتش أتصور أنك بتحبيني بالشكل ده

- أنا بحبك فوق ما تتصوري

أطرقت رأسها خجلا، والحزن يعتصرها دون ان تنطق بكلمة، فضرب بكفه على جبينه

- أما أنا غبي جدا

رفعت سماح رأسها تنظر إليه باستغراب

- ليه بتقول كده؟

- لان فرحتي بكلامك نسيتني أطمنك و أقولك اننا مش هنسافر بعد الجواز وهنفضل هنا علشان نكمل رحلة البحث عن أهلك زي ما وعدتك.

فقاطعته بعصبية، تنم عن فقدانها الامل في العودة إلى أهلها.

- هما فين اهلي دول. أنا بدات أؤمن اني ماليش اهل.. أنا متاكدة انك عملت المستحيل علشان توصل لهم لكن هما عملوا ايه علشان يوصلولي؟؟ ولا شئ طبعا..

- بس لازم نكمل

- لا مش لازم نكمل.. لانها كده خلصت.. هما نسيوني... و انا كمان مبقتش

عايزاهم... وهنتجوز ونسافر.. ومش عايزه نرجع هنا تاني.. فهمت
حملق هشام في ملامح وجهها الصادقة بكل كلمة، فتراجعت خطوتين ووضعت يديها على خديها وعيناها تتساقط منهما الدموع، فأقترب منها،فارتمت في حضنه وهى تبكي بشدة
- خدني من هنا و أبعد بعيد.

- ٩ -

أتفق الأصدقاء الثلاثة على اللقاء في الساعة السابعة مساء، في مكانهم المفضل بمقهى الفيشاوي بحي الأزهر، جلس هشام وصديقه الدكتور محمود البكري ينتظران ثالثهم المهندس محمد الصائغ،والذي حضر متأخرا كعادته مهرولا نحوهم، تأسف على التأخير، وجذب مقعدا وجلس حذوهم وهو ينظر مبتسما لهشام

- خيريا هشام إيه سبب الاجتماع الطارئ ده؟

نظرلهما هشام سعيد مبتسما

- محضرلكم مفاجأة، أكيد هتسعدكم كالعادة.. أنا قررت أتجوز

هلل الدكتور محمود في سعادة، ضربه على كتفه،

- ألف مبروك يا هشام والله فرحتني.. وأخيرا واحد مننا هيدخل القفص الذهبي

قال محمد باستغراب

- هتتجوز مين يا هشام؟

رد هشام بخوف وتردد .سماح يا محمد

نظرإليه محمد بغضب وقال

- أنت مجنون يا بنى عايزتتجوز بنت لاقيتها في الشارع

عاتبه هشام بحزن

- عيب يا محمد متقولش كده انت عارف انى بحبها

فتدخل محمود في الكلام محاولا تهدئه الموقف وقال .أهدوا شويه وخلونا نفكر بالعقل

فأشارمحمد بيده نحوهشام وقال

- أنت عاجبك كلامه ده يا محمود؟

أشار إليه محمود بهدوء وقال

- مقولتش عاجبني بس نتناقش بهدوء، وكل واحد مننا يشرح وجهه نظره سواء بالقبول أو بالرفض

زفر هشام بضيق وهو ينظر إليهما بصمت، ومحمد يضغط على أسنانه بغيظ ويقول

- أنا ر افض الموضوع نهائيا

التفت محمد مره أخرى لهشام وبادره بسؤال

- تقدر تقولي أنت تعرف إيه عن ماضيها؟

ارتسمت على ملامح هشام علامات الغضب والضيق ومحمد يستمر في كلامه وقال

- طبعا ولا شئ.. وعايز تربط نفسك بيها.. لا والمصيبة الكبيرة.. تجوزها وتنجب منها أولاد، بذمتك أنت في وعيك

قاطعه هشام بعصبيه وقال

- كفاية بقى يا محمد ده حياتي و أنا حر فيها

أبتسم له محمد بسخرية وقال

- طيب جمعنا وبتقولنا قرارك ليه لما أنت حر؟

تنبه محمود من أفكاره ونظر لهشام وقال

- نصيحة أخيرة ليك يا هشام....خد بالك أنها ممكن تفوق من حاله فقدان الذاكرة في أي وقت ووقتها هتنساك وتنسى الفترة دي كلها من عمرها.. مش هتعترف بيك ولا باولادك، وواجب الصداقة اللي بينا أني أقولك و أنبهك.

نظر محمد بحزن إلى صديقه هشام، مسح على كتفه وقال

- وعلشان الصداقة والإخوة اللي بينا يا هشام أنا هقولك كلمة أخيرة حتى لو

هتزعلك. البنت دي مش ليك ولا شبهك.. وبلاش تخاطر بمستقبلك وحياتك علشان إنسانه من شكلها وملابسها اللي لقيناها بيهم أنها عديمة الأخلاق.

شرع هشام يفكر بعمق بعيدا عن الاقتناع، رفع رأسه ونظر لاصدقائه وقال في تحد

- الخميس الجاي هنتظركم الساعة خامسة مساء في البيت.. علشان تشهدوا على عقد قراني

نهض محمد من مكانه، وهو ينظر لهشام في غضب وعصبية وصرخ في وجهه

- انت مجنون و انا مستحيل هسمحلك تضيع نفسك.. ولو حكمت هبلغ عنها وعنك.

صرخ محمود في وجه محمد وقال

- إيه كلامك ده يا محمد.. أنت واعي للي بتقوله

قال محمد بغضب ممزوج بحزن

- يعنى عاجبك كلامه يا محمود

- مقولتش عاجبنى بس ميوصلش الحال بينا لبلاغات

نهض هشام من جلسته، وغادر المكان دون أن ينطق بكلمة، وبدون أن ينظر لأصدقائه، بينما ظل محمد ومحمود في مكانهما يستكملان حديثهما، نظر محمود إلى صديقه في تعجب متسائلا

- بهدوء كده فهمني أنت رافض الحوارده ليه؟

- كان باين من شكلها يوم الحادثة إنها إنسانة مستهترة وعديمة الأخلاق..كمان ممكن تكون متجوزة وعندها أولاد كمان أو مشيها بطال.. أنت ما شوفتش لبسها كان شكله عامل أزاي..

نظر إليه محمود ولم يعلق، بل اكتفى بالصمت والاستغراق في تذكر تلك الليلة التي أتى إليه هشام وهو يحمل تلك الفتاة بين زراعيه كأنها زوجته،

شرد بعيدا وهويتأمل كلمات محمد التي قد تكون على قدركبيرمن الصواب، لكنه أفاق على صوت محمد

- إيه روحت فين.. شكل الموضوع مش شاغلك

- لا طبعا.. بس أنت كبرت الموضوع أوي وكل كلامك افتراضات مش أكتر.. أنت حكمت عليها من لبسها وقولت كلام مالوش لازمة زعل منك صديق عمرك هشام

رفع محمد حاجبيه في ذهول، ووضع يده تحت ذقنه، ونفخ في الهواء وهو يضرب بيده الأخرى على المائدة، وطلب منه تفسيروجهة نظره

- كل اللي خايف منه.. ملوش أساس من الصحة يا باشمهندس

- أزاي بقه يا حكيم عصرك

- أولا خوفك أنها تكون متجوزة وعندها أولاد أو حتى عاهرة اطمن جدا.. أنا كشفت عليها بنفسي بعد ما وصلت المستشفى وتأكدت أنها عذراء.. ثانيا أنها تكون مستهترة أو عديمة الأخلاق ده كل أصبح في ذاكرة النسيان.. يعني أتمسح باستيكة.. لا اسمها ولا قلبها ولا عقلها فيه حد غير هشام.. و أنت عارف صاحبك متدين وهيقدريطبعها بطبعه.. ده من كلامه أنها بتصلي كل فرض بفرضه وكمان بتقوم الليل وبتحفظ القران.. يعني هشام بالنسبة ليها.. بيلعب في العبادة..

- كده اتحلت يعني واطمنت أنا.. حليت كل المشاكل في ثانية يا دكتور..

- طبعا لازم تطمن.. وتيجي الفرح.. ده فرح هشام اللي منتظرينه من سنين

لم يكن دكتور محمود مطمئن لتلك الزيجة على الإطلاق، رغم تظاهره بالارتياح، رغم محاولاته لإقناع محمد أن كل شيء على ما يرام، وان تلك الزيجة لن يأتي من خلفها أي متاعب لصديق عمره هشام، لكن رغبة هشام الشديدة في الزواج، لم تترك لأحد الفرصة لإقناعه بهدوء، لضربه على رأسه

ليفيق من تلك الكارثة المؤجلة، أن تفيق سماح من حالة فقدان الذاكرة، بعد يوم أو شهر أو سنة أو سنوات طويلة، وتمسح بممحاة كل ذكرياتها مع هشام، لتعود إلى شخصيتها الأولى التي لا يعلم أبعادها سوى الله، لم يستطيع محمود أن يضغط على هشام أن يعود في قراره، لكنه دعا الله أن تظل سماح على تلك الذاكرة المؤقتة حتى أخر نفس في حياتها.

- ١٠ -

كانت سماح جالسة بجوار هشام، في انتظار المأذون، يتحدثان عن ترتيبات السفر، حينما دق جرس الباب، قام هشام و اتجه نحو الباب، وما أن فتحه حتى علت الفرحة ملامحه، انه صديقه محمد الصائغ، ابتسم وهو يرتمي في أحضانه

- انت فاكر اني ممكن اسيبك في يوم زي ده يا صاحبي

- كنت و اثق انك مستحيل تتخلى عني.

جذبه هشام نحو الداخل، فدخل ورأى سماح جالسة على الأريكة، ترتدي الفستان الأبيض الطويل الذي يغطي كامل جسدها، والحجاب الأبيض يلف وجهها الأبيض، بخدودها المتوردة الحمراء، و ابتسامتها الرائعة، تذكر تلك الكلمات الجارحة التي رماها بها، تلك الظنون التي دارت برأسه، حتى حاول ان يفسد على صديقه فرحته، بتلك العروس الجميلة، لكن صديقه هشام أغلى عنده من كل تلك الظنون الواهية، اقترب منها وألقى عليها السلام فردت والخجل يكسو وجهها وطأطأت رأسها نحو الأرض خجلا

- مبروك يا عروسة.. هو مفيش ملبس ولا شربات ولا حتى غدا.. إيه الفرح القرديحى ده

ضحك هشام وهو يجذبه من ذراعه ويدفعه نحو المطبخ..

- يلا على المطبخ حضرلنا الذي منه.. انت عايز العروسة تخدمنا ولا إيه.

شمر محمد ذراعيه وهرول نحو المطبخ، أدار الموسيقى، وصب العصير في الكؤوس، واحضر الحلوى والشوكولاتة، ووضعها على المائدة. حتى دق جرس الباب، هرول محمد نحو الباب فوجد دكتور محمود، يقف أمامه في دهشة، لم يكن يتوقع أن يأتي محمد إلى عقد القران، كان يقف خلف محمود المأذون

بجلبابه الأزهري وتلك العمامة البيضاء، يحمل في يده حقيبته، رحب به محمد وهو يقلد زغروته لكنه فشل ان يطلقها بامتياز

- إتفضل يا مولانا.. المأذون وصل يا عر ايس

جلس المأذون على الأريكة، واخذ بيد هشام وسماح وهو يقول

- اين الشهود

فاخرج محمود ومحمد بطاقتهما الشخصية وأعطياها للمأذون، الذي بدا في مراسم عقد القرآن، وضع هشام يده في يد سماح، وبدا يرددا كلمات المأذون حتى قال هشام .قبلت زواجها

فسحب المأذون المنديل من فوق أيديهما وقال

- بالرفاء والبنين

وما أن سمع محمد الصائغ هذه الكلمة، حتى أطلق زغرودة قوية، لكنها في غاية الفكاهة مما أصاب الجميع بالضحك، ثم احتضن هشام، لكنه في لحظة شرود عادت إليه مخاوفه القديمة، نظر إلى سماح، فاحتضن صديقه أكثر، وهمس في أذنه.خلي بالك من نفسك.نزع دكتور محمود صديقه محمد الصائغ من حضن هشام، وارتمى في حضنه، قبل وجنتاه، وبارك له والمأذون يردد

- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير

فردد الجميع آمين، والمأذون يغادر البيت إلى خارج الشقة، وخلفه دكتور محمود ومحمد الصائغ، وأغلقا الباب خلفهما.

التفت هشام إلى سماح، اقترب منها امسك يدها وثبت عيونه في عيونها، فشعرت بالخجل، واحمرت وجنتاها، وهشام يقبل يدها ويقترب من شفتيها ويهمس في أذنها

- مبروك يا عروسة

فأخفضت رأسها إلى الأرض، وهشام يحتضنها بقوة ويمسح على ظهرها

- انتي الليلة أميرتي و أنا أميرك

حاولت أن تنفلت منه، فضمها إلى صدره أكثر، فأمسكت ذراعيه لانتزاعها من بين أحضانها،

- انتي بتعملي إيه..

- يلا ندخل اودتنا

فترك زراعيها، وحملها فجأة بين زراعيه كطفل صغير، فصرخت في ذعر، وهي تحاول التملص منه، وهو يحتضنها بقوة، وهي تصرخ فيه وتضربه على كتفه في دلال

- انت بتعمل إيه.. نزلني هاقع

فضحك هشام وهو يحتضنها بعنف

- فعلا انتي تقيلة اوي..

فعدل من وضع حملها واحتضنها وهو يرفعها عن الأرض، فشهقت في فزع، وهي تتشبث به بقوة، وتدفن رأسها فوق كتفه،

- هقع يا هشام هقع

فهمس في أذنها، وهو يطبع قبله طويلة على رقبتها، ويتحرك بها نحو الغرفة كالأميرات

- طول ما انتي بين ايديا مش عايزك تخافي أبدا..

انزلها بداخل الغرفة، وهو يتحسس جسدها برفق، وقفت في مواجهته، وهي تشعر بارتباك شديد، مد يده و انتزع الطرحة من فوق رأسها، وألقى بها على أخر زراعه، ثم احتضنها ومد يده إلى السوسته في أعلى ظهرها ليفتحها، لكن أعصابها لم تكن لتتحمل كل هذا، فابتلعت ريقها بصعوبة، وهي تطلب منه ان يخرج إلى الصالة حتى تغير ملابسها، نظر إليها و ابتسم، وهو يقطف

بأصابعه تفاح خديها، طبع قبله طويلة على شفتيها، فشعر بالخجل يطل من وجهها، وجسدها يرتعش، فحاول ان يخفف من وطأة الحدث، فترك حضنها وخرج إلى الصالة، لكنه لم يفوت على نفسه تلك الفرصة، فتحرك إلى أخر الصالة، ثم عاد إلى الباب على أطراف أصابعه، ونظر من ثقب الباب، فرآها تخلع الفستان الأبيض وتلقي به على السرير، فظهرت بقميص نومها الأبيض، تأمل جسدها الأبيض وشعرها الأسود ينسدل على ظهرها، وقفت أمام المرآة تتأمل وجهها، ثم تحركت نحو الحمام الملاصق لغرفة النوم، دقائق من الانتظار حتى خرجت وفتحت دولاب ملابسها، وأخرجت عباءة وطرحة بيضاء، ارتدهما بسرعة ثم فردت سجادة الصلاة، فشعر بالخجل، وفتح الباب فجأة، فشعرت بالذعر وهو يخبرها

- هتصلي لوحدك يا عمري..

- كنت هصلي ركعتين شكر لله

طلب منها ان تنتظر، حتى يتوضأ ويصليا سويا، دخل وبدل ملابسه ولبس بيجامة حمراء،توضأ ووقف على السجادة، ووقفت وراءه وصليا ركعتين شكر لله، شكرت الله تعالى على نعمة هشام، ودعت الله أن يساعدها في إسعاده، سمع هشام صوت دعائها فأطال في سجوده، علها تكون ساعة إجابة، ما أن انتهيا من الصلاة، حتى مد يده وقبل يدها، فقامت والخجل يكسوها، وجلست على طرف السرير، اقترب منها وجلس بجوارها، مسح على ظهرها واحتضنها، فشعر بدموعها تسقط على زراعيه، فقام وأوقفها أمامه، مسح دموعها

- في حد يعيط في يوم زي ده

- كنت اتمنى ان ألاقي أمي و ابويا وأخو اتي وعائلتي حواليا في يوم زي ده

- أنا ابوكي وامك واخو اتك وعيلتك..

احتضنها بقوة وهو يتحسس جسدها، ويقبض بشفتيه على شفتيها، ينزع عنها تلك العباءة والطرحة، يأخذها إلى السرير ويغرقان تحت الملاءة الحمراء، لا يسمع منهما غير صوت القبلات، وهمسات العشق، ولمسات الشوق، حتى غفوا وتاها في دروب الأحضان والقبلات حتى الصباح

في الصباح استيقظ هشام، فتح عيونه فوجد سماح راقدة بجواره كملاك في قميصها الوردي، وشعرها الأسود منسدل على الوسادة، ويدها تمسك بيده، وكأنها تخاف أن يفارقها.

ترك يدها ومد يده ليلملم شعرها، ويطبع قبلة طويلة على شفتيها، فتحت عيونها على اثر القبلة، ابتعدت عنه قليلا ونظرت إليه مبتسمة

- إيه اللي أنت عملته ده؟

فامسك وجهها بيديه، ووضع شفتيه على شفتيها وهو يقول لها

- هو انتي لسه شوفتي حاجة

ضحكت سماح وهي تحاول الإفلات من يديه، وترك شفته التي تمص رحيق شفتيها، لكنه منعها بقوة، فعدل من وضع نومه، وجذبها بين أحضانه،

- انتي رايحه فين.. أنا لسه عريس ومعايا أجازة تلات أيام بس.. عارفه ده معناه إيه؟

ابتسمت بخجل وهي تحاول النهوض، والانفلات من بين أحضانه، وهي تضحك وتشده من أذنه

- معرفش يا رخم أنت

- أنا هاعرفك دلوقتي

وسحب الغطاء على رأسها، وغاصا سويا في عالمهما الوردي، يرتشفان رحيق العشق.

- ١١ .

مر شهر العسل سريعا، شعر كلاهما أنهما في الجنة، يرتشفان العشق بلا كلل، وكأنها حور العين، وهشام ذلك المؤمن، الذي نال الجنة بعد صبر وجلد في الدنيا.

- بعد انقضاء شهر العسل، بدأ هشام في عمل إجراءات السفر، رغم تلك المشكلة التي واجهته في إعداد أوراق سماح، التي لا تملك سوى شهادة ميلاد باسم سماح رشاد شاهين،وبطاقة إثبات الهوية التي عملها ليستطيع عقد الزواج عليها، بدون شهادة المؤهل الدراسي، استطاع بمساعدة احد معارفه أن يستخرج لها جواز سفر، وحصل على تأشيرة السفر إلى المملكة العربية السعودية

في صالة المطار كان هشام وبصحبته سماح، يودعان دكتور محمود ومهندس محمد، رغم ان عيون سماح كانت تفتش عن أهلها الذين لا تعرفهم، ستترك تلك الأرض التي بها أسرتها، ستبتعد عنهم آلاف الكيلومترات، بدلا من أن تفتش عنهم، أن تقترب منهم، أن تعرف ماذا جرى لهم بعد رحلها غير المقصود، لكنها التفتت إلى هشام، ذلك الرجل الذي أنقذ حياتها، فصار هو أهلها، بعدما فشلت في الوصول إلى أهلها، وصار هو وطنها، بعدما لفظها وطنها.

وصلت الطائرة إلى المملكة العربية السعودية، وكان من حسن الطالع، أنهما سيقيمان بمدينة مكة، تلك المدينة المباركة، حيث بيت الله الحرام، وما أن وصلا إلى مكة حتى رفرف قلبهما، شعرا بالدموع تهرع من عيونهما، وهما يستقلان السيارة نحو البيت الحرام، وقدميهما تطأن تلك البقعة المباركة، لم تتمالك سماح نفسها وهي ترى الكعبة المشرفة، وتطوف بالبيت العتيق، تقبل الحجر الأسود، تتعلق بأستار الكعبة، تبتهل إلى الله أن يغفر لها ذنوبها

التي لا تعرفها، أن يجمعها بأسرتها التي لا تعرفها، أن يعيد إليها يوما ما ذاكرتها التي غادرتها رغما عنها،أن يظل هشام معها حتى نهايات العمل، ألا تفرقهما حادثة، أو تبعدهما كارثة.

شعرت سماح بان حياتها قد ابتدأت من هنا، دخلت في طور جديد في القرب من الله، كان مسكنهما على مشارف البيت الحرام، فكانت لا تترك فرضا إلا وتصليه في الحرم، هشام يذهب إلى العمل في الصباح، تنهي واجبات البيت، وتهرع إلى المسجد الحرام، تقض فيه اغلب أوقاتها، وحينما يعود هشام من العمل يجدها، في البيت ومائدة الطعام معدة على أحسن وجه، وفي يوم الجمعة يذهبان سويا إلى الحرم من الصباح الباكر، حتى ينتهيان من صلاة الجمعة.

-١٢.

مرت ثلاث سنوات، وهشام وسماح يعيشان في سعادة بالغة، لكن ما كان ينغص عليهما حياتهما، ذلك التأخير في الإنجاب، ثلاث سنوات لم تكف سماح عن طلبها لهشام في الذهاب إلى المراكز الطبية بالمملكة، لعمل الفحوصات اللازمة، لكنه كان يطلب منها ان تصبر، انه لا يريد أن يظهر شريك له في البيت يأخذ منها حبها له، لكنها كانت تطمئنه انه في القلب، ولن يستطيع أحدا أن يحل محله أو ينافسه على قلبها، كانت تطيع أوامره، لكن قلبها لم يكن مطمئنا لتأخر الإنجاب طوال تلك السنوات،لابد أن هناك مشكلة ولابد من حلها، فكرت أن تذهب إلى احد المركز الطبية في مكة،دون أن يعرف، لكنها لا تريد أن تفعل أي شيء بدون معرفته.

ذات مساء بينما كان هشام يجلس أمام التلفاز ليشاهد احد البرامج الدينية، حتى اقتربت منه سماح وضعت أمامه فنجان القهوة، وجلست تحت قدميه، تنظر في عيونه، التفت إليها وسحبها من يديها، وأجلسها بجواره، احتضنها فنامت على صدره، شعر بأنفاسها الطيبة تقترب من شفتيه،، كادت الدموع أن تهرع من عيونها، فمسح على شعرها، وسألها عن سبب حزنها وشرودها ترددت قليلا قبل أن تقترب من عيونه، وتقول في خجل وتردد

- ممكن اعرف أنت مش عايز مني أولاد ليه؟ ولا منتظر ترجع مصر وترجعني لأهلي؟

اتسعت عيون هشام، وشعر بالفزع من كلماتها، لكنه رسم ابتسامة كبيرة ونعتها بالجنون

- مين قالك كده يا مجنونة..انا نفسي يكون ليا منك جيش من البنات والأولاد.. بس دي إرادة ربنا.. مفيش لينا دخل فيها..

- بس ربنا زي ما خلق الداء خلق الدواء.. أكيد أنا السبب من اثر الحادثة

نظر إليها هشام بحزن، وضمها إلى صدره، ومسح الدموع التي هرعت من عيونها، ومسح على شعرها، وقبل رأسها ويديها، وقال بصوت ممتلئ بالطمأنينة والثقة في الله

- مين قالك ان تأخر الإنجاب عندك.. يمكن أنا السبب..

- يبقه لازم نعرف السبب ونسعي في العلاج..وبعدها نرضى بقضاء الله وقدره

شعر هشام برغبتها القوية في الإنجاب، حتى تعوضها عن أسرتها التي فقدتها، أن يكون هناك رباطا يربطها بهشام حتى الموت، فو افق على الذهاب إلى اقرب مركز طبي في مكة، لإجراء الفحوصات اللازمة في محاولة لاكتشاف سبب تأخر الإنجاب.فأردفت وهي سعيدة من مو افقته

- أنا نفسي يكون عندي أطفال كتير يكونوا أولادي وأخو اتي وأهلي ودنيتي

ابتسم هشام وعقد حاجبيه، وامسك بخديها، وشرع يقول لها في عتاب مقبول

- الله الله يا ست سماح.. يعنى أنا هتروح عليا

فنظرت إليه وهي تتأمل ملامح وجهه الوسيمة، وعيونه الواسعة الجميلة

- كفاية يكونوا قطعة منك في حنيتك وطيبة قلبك و إنسانيتك أنت ملاكي و أنا محظوظة بيك

وألقت برأسها على صدره من جديد، تتحسس صدره بيديها، وتقبله علي خده في سعادة،

- ربنا يخليكي ليا يا اجمل هدية من ربنا.

-١٣.

بدأت رحلة العلاج، بعدما تعاهدا على تقبل النتائج بنفوس راضية، ألا يفترقا مهما حدث، كانت دكتورة علياء طبية المركز الطبي مصرية، استقبلت سماح استقبالا حافلا، بعدما عرفت أنها من مصر، وقامت بعمل الفحوصات اللازمة، وطمأنتها انه في حال وجود أية عوائق تعوق الحمل لا قدر الله، سوف يقوم الطب بعمل اللازم، فالطب قد تقدم كثيرا في ذلك المجال.

غادرت سماح المركز الطبي وبصحبتها هشام بعد عمل الفحوصات اللازمة، وقضيا أياما عصيبة في انتظار نتيجة التحاليل والإشاعات، وعادا بعد أسبوع إلى المركز الطبي من جديد، وجلسا أمام دكتورة علياء التي كانت تشعر بالأسف، وهى تعرض عليهما نتائج التحاليل، والتي تثبت ان هشام ليست لديه موانع للإنجاب، وان سماح تحتاج إلى عملية جراحية في الرحم، لكنها عملية خطيرة، محفوفة بالمخاطر، ونسبة النجاة منها ضعيفة، ومن الأفضل أن يرضيا بقضاء الله وقدره، لكن سماح لم تخاف ولم تتأثر بكلام الطبيبة المعالجة، وبسرعة و افقت على إجراء العملية الجراحية، مهما كانت النتائج، الأهم أن تنجب، أن تترك أثرا في الدنيا، ولدا صالحا يدعوا لها، ويرعى هشام في حياته، لكن هشام صرخ في وجهها أن تصمت، وتكف عن هذا الهراء، فحياتها أهم من جيشا كاملا من الأطفال، ومد يده وسحب الأشعة والتحاليل من أمام دكتورة علياء وألقاها في سلة المهملات، وسحب سماح من يدها إلى خارج غرفة الطبيبة، التي راعت شعوره فلم تغضب لتصرفه، وودعت سماح وطلبت منها أن تزورها على فترات، لكن سماح أخبرتها أن تستعد لإجراء العملية الجراحية وأنها ستعود إليها في اقرب وقت.

طوال الطريق من المركز الطبي إلى الشقة، كانت سماح صامتة، لكن دموعها

تحرق خديها، وهشام جالس أمام عجلة القيادة، يكتم حزنه، يمد يده ليمسك يدها، لكنها تسحبها من يده، فيلتفت إليها، يريد أن يتوسل إليها أن تظل معه حتى نهايات العمر، لكن كلا منهما قد اجل الحوار حتى الوصول إلى الشقة.ما أن دخلا الشقة، حتى انفجرت سماح في وجهه باكية

- أنت ليه عايز تحرمني من الخلف؟

- و أنتي ليه عايزة تحرميني منك؟

التفتت حولها، في تلك الشقة الخالية، من صوت غير صوتهما، ولا حركة إلا حركتهما

- و إيه فائدة حياتي وهي فارغة من الأهل والأولاد؟

نظر إليها في حزن، اقترب منها واحتضنها بشدة، فارتمت على صدره، تتوسل إليه أن يقبل، لكنه قال بحزن واسي

- أنا اهلك وأولادك.. أنا دنيتك.. و أنتي كل حياتي

- أنت من حقك تكون أب.. مش كفايا ربطت حياتك بحياتي..و أنت متعرفش حاجة عن ماضيا

- بس مش على حساب حياتك يا حياتي

- أنا وحياتي فداك.. عشان اللي عملته معايا وعلشان حياتي..

صرخ فيها بعصبية، في محاولة لإنهاء ذلك الجدال العقيم، فكلا منهما مقتنع بوجهة نظره، ولن يتخلى عنها مهما حدث، لكن إصرار سماح كان أقوى، استخدمت كل الأسلحة لتجبره على المو افقة، لكنه صرخ فيها من جديد، إنها كل حياته، و انه بدونها سيموت، فعادت واحتضنته، وقبلت رأسه، طلبت منه أن يدعو لها بالنجاة، أن يتضرع إلى الله، أن يبقيا سويا وان يرزقهما الذرية الصالحة، أن تنجح العملية، بدون أية مضاعفات..وما كان منها إلا أنها توضأت، ثم فرشت سجاده الصلاة ووقفت لصلاة الاستخارة، فيما

عزمت عليه.

مرت عشرة أيام، استطاعت خلالها سماح أن تقنع هشام بإجراء العملية الجراحية، فعاد إلى المركز الطبي، حيث دكتورة علياء، التي بمجرد أن رأتهما حتى هللت في وجههما، وأخبرت سماح وهشام أن لهما مع الله شأن، فان من حسن حظ السيدة سماح، أن مستشفى الملك فيصل بالرياض، سوف تستضيف دكتور جوناثان أشهر أطباء أمراض النساء في العالم، و انه قد قام بعمل تلك الجراحة أكثر من مرة بنجاح كبير، وطلبت منهما أن يتوجها إلى الرياض لعمل فحوصات جديدة، وحجز موعدا لإجراء الجراحة، فرحت سماح بذلك الخبر، وطلبت من هشام ان يستعد للسفر إلى الرياض معها لعمل اللازم.

في مستشفى الملك فيصل بالرياض، كانت سماح ر اقدة في سريرها، والدكتور جوناثان يتأمل تلك الأشعة والتحاليل، ويتحدث مع مساعديه باللغة الانجليزية، وهشام يتابع الحالة في قلق، لكن الطبيب ابتسم إلى سماح، وقال بهدوء انه مستعد لعمل العملية الجراحية، خلال ثلاث أيام، و انه متفائل بنجاح العملية، امسك هشام يد سماح وقبلها في سعادة.

في يوم إجراء العملية لم يكف هشام عن الصلاة والدعاء إلى الله، وسماح بداخل غرفة العمليات، حتى خرج الطبيب منتشيا، هرول هشام نحوه، وسأله عن حالة زوجته سماح، فطمأنه بان العملية تمت بنجاح، وخلال أيام ستمر مرحلة الخطر، وتستطيع أن تخرج من المستشفى.

مرت الأيام التالية لإجراء العملية على هشام كسنوات من العذاب، حتى تم نقل سماح من غرفة العناية المركزة بعد استقرار حالتها، شعر هشام بالسعادة حينما رأى زوجته سماح تفتح عيونها، وتتحدث معه تمسك يده، فقبل يدها ورأسها، فابتسمت وهي تتأمل ملامح وجهه

- مالك خاسس ليه كده يا حبيبي أنت عامل رجيم

- من يوم العملية أنا لا بأكل ولا بأنام..

ابتسم وهي تعصريده، وتخبره أنها قد وحشته كثيرا، وأنها ستخرج وستطعمه بيديها، كما كانت حتى يسترد عافيته، فأمامه مهمة شاقة، لكي يستعدان لاستقبال المولود الأول، فنظر في عيونها

- اقسملك بالله انتي وجودك أهم عندي من كل الدنيا.

- ١٤ -

كم كانت سعادة هشام، بعودة سماح إلى البيت، شعر أن الحياة قد دبت فيه من جديد، وان روحه قد عادت إليه، وان فراقها كان كابوسا ثقيلا جاثما على صدرها، لم يفارقه إلا بعودتها إليه.

غير أن حلم الأمومة عاد يراودها، تتحدث عنه ليل نهار، تنتظره شهرا بعد شهر، وكان يوم حدوث الدورة الشهرية، بمثابة نكبة شهرية في حياتها، حتى تأخر موعدها، لم تنتظر لكنها هرعت إلى دكتورة علياء بالمركز الطبي، والتي قامت بعمل اختبار حمل، والذي اثبت أنها حامل بالفعل، كان هذا الخبر اسعد خبر في حياة سماح على الإطلاق، والتي لم تستطيع الانتظار حتى يعود هشام إلى البيت، بل اتصلت به على هاتف الشركة، وأخبرته بالخبر السعيد، فترك العمل وقاد سيارته إلى البيت في سعادة بالغة.

مرت الشهور وهشام يتابع صحة سماح باهتمام، احضر لها خادمة لتقوم على رعايتها، كان يذهب معها إلى دكتورة علياء أسبوعيا لتطمئن على حالة الجنين، وكم كانت سعادتهما حينما أخبرتهما دكتورة علياء بان سماح تحمل في رحمها توأم، وكما كانت دكتورة علياء صاحبة البشرى ووجه السعد عليهما، وعدتها سماح أن تسمي أول مولودة لها على اسمها، وان تكون طبيبة ممتازة مثلها، لكن ما اشعر هشام بالخوف والخطر، أن سماح لن تلد طبيعيا، ستحتاج إلى عملية قيصرية، لكن ذلك لم يخف سماح كعادتها، بل أمسكت بيد هشام وطمأنته بان الله الذي جمعهما لن يتركهما يفترقا أبدا حتى الموت.

قبل يوم الولادة، كانت سماح في المركز الطبي تعاني آلام الولادة، في انتظار دكتورة علياء، حتى تدخل الغرفة وتوقع الكشف الطبي عليها، وهشام

يتحسس بطنها ويمسك يدها بقوة، والدموع تكاد تهرع من عيونه، لكن كلمات سماح أجبرتها على الهطول كالأمطار

- وحياة أولادنا اللي لسه في علم الله..لو حصلي مكروه و أنا في غرفة الولادة.. وهما خرجوا بالسلامة للدنيا.. احكيلهم حكايتنا..

- بعد الشر عنك يا حبيبتي.. انتي اللي هتحكيلهم حكايتنا.. وهتكوني أم عظيمة

قطع عليهما تلك اللحظات قدوم دكتورة علياء، والتي اقتربت من سماح، وطلبت منها أن تستعد، وتطمئنها بان العملية القيصرية، أسهل بكثير من الطبيعية، فبمجرد أن تأخذ حقنة المخدر، لا تشعر إلا والمولود يصرخ بجوارها، وقعت الكشف الطبي وحددت يوم الولادة، وطلبت منى هشام أن يحضر غدا إلى مستشفى الولادة ومعه سماح،

في الصباح اصطحب هشام سماح إلى المستشفى، وعلى طول الممر الداخلي بحديقة المستشفى، كانت سماح تمسك بيد هشام وتتأمل ملامحه، وكانت تشبع عينيها منه، خائفة أن تكون تلك المرة الأخيرة التي تراه فيها، كان يبعد عينيه عنها حتى لا تقرا كم المخاوف والقلق الذي يدور برأسه وترسمه ملامحه بقوة، حتى وصلا إلى المبنى المخصص للولادة، رأى على الباب لافته كبيرة مكتوب عليها (ممنوع دخول الرجال) استقبلته الممرضة بابتسامة رقيقة، تبعث الراحة والاطمئنان، مدت يدها وأخذت كل الأغراض الخاصة بسماح وبالمولود، والتي وضعتها في حقيبة صغيرة، وطلبت منه أن ينتظر في الاستقبال، تركت يد هشام وأمسكت بيد الممرضة، ولكن سرعان ما تركت يدها وهرعت إلى حضن هشام تتشبث به، حتى ظهرت دكتورة علياء التي قالت

- ما تشدي حيلك شوية..كلها ساعة زمن نخرج علياء وحمزة ونسيبكم مع بعض

ابتسم هشام وسألها عن حمزة هذا، فأخبرته انه اسم زوجها، هذا شرطها حتى تقوم بعملية الولادة، أن تختار أسماء اسم البنت علياء والولد حمزة، فضحكت سماح وهشام وأومئوا بالمو افقة ودكتورة علياء تسحبها من يدها، إلى الداخل حتى اختفت عن عيون هشام.

جلس هشام في غرفة الاستقبال، على أعصابه، يشرب السيجارة تلو الأخرى وفنجان القهوة تلو الأخر، وأعصابه تحترق على نار هادئة، وشريط الذكريات يدور برأسه، منذ أن رآها لأول مرة ملفوفة بملاءة بيضاء، ملقاة بجوار الإسفلت جثة هامدة، ثم رآها في المستشفى بملابسها البيضاء، بعد أن أفاقت من الحادثة، ثم رآها في الفستان الأبيض ويدها في يده، ثم رآها في ملابس الإحرام البيضاء أمام الكعبة، حتى تلك اللحظة التي يراها تلبس الملابس البيضاء في طريقها إلى غرفة الولادة.، كل ذلك البياض الذي ينبع من قلبها الأبيض، أنها أيامه السعيدة، ذلك القمر الذي أرسله الله لينير أيامه، ويؤنس وحدته، لكنه أفاق على صوت الميكرفون الداخلي للمستشفي يطلب منه التوجه إلى قسم الاستعلامات للضرورة القصوى فانقبض قلبه، وتجرع ريقه بصعوبة، وهو يفرك السيجارة أمامه، ويهرع نحو الاستعلامات.فوجد تلك الممرضة التي أخذت منه سماح تقف أمامه بابتسامة جميلة،

- مبروك يا باشمهندس.. جالك توأم.. ولد وبنت

لكنه لم يعطها الفرصة لاستكمال كلامها فسألها عن حال زوجته، فأخبرته أنها بصحة جيدة، عليه فقط أن ينتظر حتى موعد الزيارة، وسيراها ويجلس معها ويستلم أطفاله.

انتظر هشام حتى موعد الزيارة، وهرع إلى غرفة زوجته وبجوارها ابنه حمزة و ابنته علياء، نظر إليه ما وهو يتأمل ملامح علياء التي تشبه إلى حد كبير

ملامح أمها سماح، وملامح ابنه حمزة الذي يكاد يشبهه وهو صغير، كبر في أذنيهما اليمنى و أقام الصلاة في أذانيهما اليسرى، ثم التفت إلى سماح التي فتحت عيونها للتو، فاقترب منها وقبل يدها، ورأسها فضحكت وهي تقول له - شوفت بقه انهم اخدوك مني.. أول ما دخلت روحتلهم ونستني أزاي..

فضحك وهو يقول لها أن علياء تشبهها تماما، فكشرت عن أنيابها، وقالت أنها كانت تتمني ان تكون شبيه لحبيبها هشام، وضحكا سويا ودكتورة علياء تدخل عليهما في سعادة وتسأل عن تؤام روحها علياء الصغيرة، وعن زوج ابنتها المهندس حمزة..

- ١٥ .

مرت السنوات سريعا، وسماح ترى أولادها علياء وحمزة يكبرون أمام عينيها، كما تكبر الشجرة من نبتة صغيرة في باطن الأرض، حتى تصير برعما صغيرا، حتى تصبح شجرة عالية مترامية الأغصان. رغم أنها تعود إلى مصر شهرين كل عام، غير أنها شعرت بان زوجها هشام يشتاق أن يعود إلى مصر نهائيا، إلى تلك الأرض التي ولدوا وتربوا عليها، رغم أنها لا تعرف على تلك الأرض سوا هشام وأولادها، لكنه اشتاق للعودة،رغم تلك النجاحات التي حققها هنا، لكنه صرح أكثرمن مرة، بأنه يريد العودة إلى مصر ليؤسس شركة للمقاولات، وسيطلق عليها شركة السماح للمقاولات.

كانت سماح تفرش سجادة الصلاة، حينما طرق هشام باب غرفتها ودخل، كان يبدو على ملامحه، انه يريد أن يفتح موضوعا هاما، انتظر حتى انتهت من صلاتها، ثم وجلس على طرف السرير،

وأشار إليها ان تجلس بجواره، وحينما جلست اقترب منها ووضع زراعه حول رقبتها، ونظر في عيونها و ابتسم، فبادلته الابتسامة بابتسامة، وفهمت أن هناك موضوعا يريد ان يطرحه عليها

- خير يا هشام تشتكي من حاجة يا حبيبي؟

- هتفضلي طيبة وحنينه وتخافي عليا لحد امتى يا حبيبي.

- لحد آخر نفس في صدري.. أنا مليش بعد ربنا غيرك أنت وحمزة وعلياء أولادنا.. قولي بقه في إيه عايز تقوله ومتردد زي عو ايدك..اوع تكون قدامك عروسة وعايز تتجوز عليا يا روحي

فضحك وهو يحتضنها، وهي تبادله الأحضان والقبلات، وتضحك وهو يهمس في أذنها انه يعشقها هي فقط، فتثبت عيونها في عيونه، وتسأله عن

حاله، الموضوع الذي يشغل باله. تنهد وهو يمسك يدها ويقبل بطن كفها، ويخبرها انه قرر أن يعود إلى مصر، تدلى فك سماح، و اتسعت عيناها، وشعر بدوار يضرب رأسها، و انقطعت أنفاسها، فلم تستطع أن ترد، ارتسمت على ملامح هشام علامات الشفقة، فكلمة العودة إلى مصر تذكرها بكل تلك الأحداث التي دارت هناك، تخشى أن تصطدم بأسرتها، أن تجد سببا قهريا يحرمها من هشام وأولادها، الذين صاروا وطنها، ألقت نفسها بين أحضانه، وأخذت تترجاه أن يبقى هنا، فهنا مدينة الرسول، وهنا عمله الذي حقق فيه نجاحاته، وهنا ولد أولادها وتربوا وكبروا حتى انهوا المرحلة الثانوية،

- انتي رافضة نرجع مصر ليه يا سماح؟

ترددت في الرد، لكنها صرحت له أن قلبها يخبرها أن عودتهم لمصر لن تحمل خيرا أبدا، انقبض قلبه، وسألها مستفسرا، لكنها لم تجد السبب المقنع لرفضها، لكنه إحساس لا أكثر، فشرع يبث في روحها الطمأنينة، ان القدر بيد الله وحده، وأنهم لابد أن يعودا إما عاجلا أو آجلا، فهناك الأهل والأصحاب، وهناك مستقبل أولادهم، الذين يجب أن يلتحقوا بالجامعات المصرية، ذكرها بحلمها أن يصبح حمزة مهندسا، وعلياء طبيبة، فلقد حان موعد دخولهما الجامعة، كما يجب أن يعود فيفتح شركات المقاولات التي كان يحلم بها، أن باقي الأحلام لم تتحقق، وان مكان تحقيقها هناك في مصر، كما أنها استطاعت خلال فترة الزيارات السنوية إلى مصر، أن تقيم علاقات مع سكان العمارة التي اشتروها، والجميع أحبها لسمعتها الطيبة وكرمها وحسن ضيافتها، كما ان أصدقاءه الذين عارضوا يوما زواجهما، عدلوا عن رأيهم، وتأكدوا أنهم كانوا على خطأ، فسماح سيدة لا تقارن بسيدة أخرى، وأنها استطاعت أن تكون تميمة الحظ لهشام الذي ابتسمت له الدنيا منذ أول يوم دخلت فيه حياته،

- مش عايزك تخافي طول ما أنا جنبك.. فاهمه..مهما حصل عمري ما ابعد عنك..

أثلجت تلك الكلمات صدرها، فلم ترد ان تكون حجر عثرة، أمام أحلام هشام ومستقبل أولادها،تلك الكلمات أبدلت خوفها أمنا، تلك المخاوف التي تراودها، تلك الوساوس التي تجتاح عقلها وقلبها من ذكر كلمة العودة، فاطمئن قلبها من ذلك المستقبل المجهول، الذي ينتظرها في مصر، وأمات رأسها بالمو افقة، وقررت أن تعود إلى مصر..

- توكلنا على الله..

الفصل الثالث

- ١ .

استيقظ هشام على صوت صرخات سماح، وهى تتلوى من الألم، وتتحدث بكلام غير مفهوم، وتتمتم بأسماء أشخاص لا يعرفهم، فألقى بالغطاء من فوق جسده، وأسرع نحو السرير الر اقدة عليه سماح، وقلبه ينتفض داخل ضلوعه، فرحا بعوده حبيبته للحياة وأخذ يحدثها :

- سماح أنا جنبك يا حبيبتي حمد لله على سلامتك

وضع يده على زر استدعاء التمريض، وعيونه عليها وهى تحرك رأسها على الوسادة يمينا ويسارا. وبسرعة حضرت الممرضة

- خيريا فندم في إيه؟

- سماح فاقت نادى الدكتور محمود بسرعة

هرولت الممرضة إلى خارج الغرفة لإبلاغ الدكتور، لم تمر دقائق حتى حضر الدكتور محمود للغرفة مسرعا، أقترب من السرير وهشام يقترب منها بشدة وهي تحاول فتح عيونها في ضوء الغرفة الخافت، فتحتها بصعوبة، ونظرت إليه باستغراب، وبدهشة وهو تضع يدها على رأسها،تسألهم وكأنها لا تعرف أحدا منهم

- أنا فين؟

جاوبها الدكتور محمود

- حمد لله على سلامتك..... أنتي في المستشفى

- فين عائشة؟ حصلها إيه؟ طمني عليها يا دكتور

أقترب منها هشام ومد يده يمسح عرق جبينها ويسألها

- عائشة مين يا حبيبتي؟

نظرت إليه، وكأنها لا تعرفه، وبعدت يده عن جبينها، و أبعدت عيونها عن وجهه وعاودت تسال

- طمني عليها لو سمحت يا دكتور

أقترب منها دكتور محمود وكرر سؤال هشام

- عائشة مين؟

أخذت نفسا عميقا وأخرجته ببطء

- البنت اللي كانت جنبي في الأتوبيس

نزلت إجابتها على هشام كالصاعقة، فأفقدته توازنه، فاعتدال من انحنائه نحوها، وتراجع للخلف سند ظهره على الحائط شارد الذهن، ولكنه أفاق على صوت صراخها مرة أخرى، تملئ الغرفة وكأنها بركان قد انفجر، فأمر الدكتور الممرضة الو اقفة بجواره، بإعطائها حقنة مهدئة للأعصاب، حتى تنام، فأطاعت الممرضة تعليمات الطبيب، وما هى إلا ثو اني وعم الصمت الغرفة.

وقف هشام صامتا وعلامات الذهول ترتسم على وجهه، وشرع يحدث نفسه، عن تلك المفاجأة التي زلزلت كيانه، وسوف تعصف بحياة أسرته الهادئة، وكيف سيتصرف في هذا المأزق، وكيف له الخروج من هذا النفق المظلم، بدون خسائر في عائلته،أخذ يدعو الله ويستجير برحمته من غضبه. بعد أن أطمئن الدكتور محمود، أن سماح قد راحت في نوم عميق، أقترب من هشام الو اقف في ركن الغرفة بجوار السرير، مد يده وأمسك بيد هشام، وأخذه بعيدا عن السرير.

طلب منه هشام الخروج من الغرفة أفضل، فخرج الاثنان وأغلقا باب الغرفة خلفهما.ووقفا بعيدا، حتى لا يسمع حوارهم أحدا، أقترب محمود من

هشام هامسا بقلق وتوتر

- اللي حذرتك منه حصل

جحظت عينا هشام، وهو ينظر لمحمود، والحيرة تبدو على ملامحه

- تقصد إيه؟

- الحاجة سماح رجعت لها ذاكرتها

تراجع هشام للخلف خطوتين، حتى اصطدم بالحائط فاسند ظهره على الحائط، وهو يتمتم

- لا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم

- هتعمل إيه في المصيبة ده يا هشام

أطرق هشام رأسه أرضا،وهو يهزها يمينا ويسارا

- معرفش... ومقدرش أقول غير.. قدر الله وما شاء فعل

- بس خد بالك... إن أنت وأولادك وخمسة وعشرين سنة من عمرها أتمسحوا من ذاكراتها، أومأ هشام رأسه بصمت، وعيونه تترقرق بالدموع،ربت محمود على كتفه، وغادر المكان عائد إلى مكتبه حزينا،عاد هشام إلى الغرفة، وجلس على المقعد في انتظارها أن تستيقظ من جديد. مر الوقت وهشام جالسا في مكانه، ينظر إليها وهى نائمة، يتأمل ملامحها الجميلة التي لم تتغير إلا قليلا على مدار خمسة وعشرون عاما، وكانت الأفكار تضرب رأسه كأمواج بحر هادر، فتحت سماح عيناها مفزوعة، فاعتدلت من وضع نومها، وجلست وجمعت الغطاء على صدرها وسالته

- أنت مين؟

أعتدل هشام في جلسته على المقعد، وأسند ظهره، وارتدى نظارته الطبية، و ابتسم كعادته

- أنا اللي أنقذتك يوم الحادثة؟

- حضرتك تعرفني؟

- لو بتتكلمى عن وقت الحادثة.. مكنتش أعرفك..بس بعدها عرفتك.. دلوقتى رجعت معرفكيش

ظهر عليها علامات القلق والتوتر والعصبية، فطلب منها أن تهدأ حتى يستطيع أن يشرح لها فأومأت برأسها بالموافقة، وطلبت منه أن يتكلم ويشرح بالتفصيل، فجلس هشام على طرف المقعد و أقترب منها وقال في هدوء

- الحادثة اللي انتي بتتكلمى عنها دي مر عليها خمسة وعشرين سنة

نظرت إليه بذهول، و اتسعت عينيها غير مصدقة لكلامه غير المنطقي، وأخذت تنظر لكفوف يديها. وهشام جالس في هدوء ينظر إليها. فكزت على أسنانها وهى تنظر إليه، فقال هشام

- طبعا مش مصدقانى

فنهض هشام من على المقعد، وتقدم نحوها وامسك يدها، وطلب منها النهوض معه، فنزلت من على السرير، ومشيا سويا نحو المرآة، أوقفها أمامها ووقف خلفها قائلا

- صدقتينى!!!

أخذت تنظر لصورتها في المرآة في ذهول، رفعت يدها لتتحسس وجهها، تلك العلامات التي ظهرت حول فمها وعينيها، مدت يدها لتتفقد ذلك الخصلات البيضاء، التي تخط في شعرها الأسود خطوطا كثيفة،والتي أن دلت فإنما تدل على وجهه امرأة في الأربعين من عمرها، أين غادة تلك الشابة ذات العشرون ربيعا، شعرت بدواريضرب رأسها، وكأنها في متاهة.اغرورقت عينيها بالدموع وهى تقول

- مين دي؟

احتضن ظهرها ووضع يداه على كتفيها، وضمها لصدره برفق، وقرب خده

من خدها، وهما ينظران لصورتهم في المرآة، ويشير إليها وقال
- ده سماح مر اتي وأم حمزة وعلياء وأولادنا وبنت عمتى
اتسعت عينيها، واستدارت في فزع و أبعدته عنها بدفعة قوية، فتراجع على إثرها عدة خطوات للخلف كاد أن يلتصق في الحائط، وهى تصرخ في وجهه
- أنت مجنون... سماح مين؟ وأم أولادك إيه ده كمان؟ وبنت عمتك مين؟ أنا غادة جلال بركات بنت رجل الأعمال جلال بركات.. و أنت ولا أعرفك ولا عمري شفتك
بدا هشام متماسك الأعصاب، حاول أن يهدى من ثورتها، فطمئنها بأنه سوف يساعدها في الرجوع إلى أهلها، كما وعدها منذ خمسة وعشرون عاما مضت. ولكنها بدت مصدومة وغير مبالية بتلك الوعود، لأنها ببساطة لم تستوعب كل ما يدور حولها وكأنها في كابوس، أخذت تجري في كل الاتجاهات ثائرة وغاضبة، تنادي على والدها ووالدتها، وتطالبهم بالحضور لانتشالها من هذا الكابوس المفزع، في نفس اللحظة، رن هاتف هشام النقال فأخرجه من جيب بنطاله ونظر في شاشته، فوجد صورة حمزة ونمرته، فرفع يده الأخرى يطالبها بالهدوء، وعدم إصدار أي صوت حتى لا تقلق حمزة، فاستجابت لطلبه في صمت، وشرع في قبول المحادثة
- السلام عليكم..... أخبارك أنت إيه..وعلياء؟.. ماما بخير طبعا... أيوه.... صحيت وفطرت وسألتني عليكم.. لا بلاش دلوقتى.. روحوا الجامعة وفى آخر اليوم هات أختك وتعالى..لان ماما نايمة.. متقلقش عليها أوى كده...كان عندها صداع..أخذت مسكن ونامت.. ماشى يا حبيبي... وكمان يمكن نروح كلنا مع بعض على البيت.. سلم على علياء وخد بالك منها أغلق هشام هاتفه، وغادة تقف أمامه وكأنها تمثال حجري، يكاد ان يسقط على الأرض، من هول ما سمعت، فيتفتت إلى أجزاء متناثرة، جرى هشام نحوها وأسندها حتى

جلست على السرير. وسألها بخوف وقلق

- مالك حاسة بيه؟

نظرت إليه، وهى تحاول جمع قواها وترتيب كلماتها

- موضوع الأولاد ده بجد؟ أنا فعلا عندي أولاد!

- هو الكلام ده فيه كذب.أنتى ليه مش عايزة تصدقي انك زوجة وأم لحمزة وعلياء اللي عندهم دلوقتى ١٩ سنه لأنهم توأم وفي تالتة جامعة. حمزة بيدرس هندسة، وعلياء في صيدلة وعلى فكره هما شبهك أنتي.. وخصوصا علياء صوره منك و انتى في سنها في أول معرفتنا ببعض.

نهضت وهى تصرخ في وجهه، وتعلن تمردها، بان كل هذا الهراء ليس لها أي علاقة به، وأنها لا تعرفه من قريب أو بعيد، ولن تعترف بتلك العلاقة الوهمية التي يتحدث عنها،وإنها لم تتجوز ولم تنجب، وقف هشام صامتا، يتابع رد فعلها المتوقع، دون أن يتلفظ بحرف واحد، رغم غضبه الشديد من تلك الشخصية العنيدة، التي لم يكن يتصور أبدا أن تكون بكل تلك القسوة والجحود، الحاجة سماح تتحول في ساعات إلى تلك الأنثى قاسية القلب.

كان كل ما يشغل تفكيره، هو كيفية الخروج بأقل الخسائر من تلك المعركة الشرسة، التي قد تطيح بأسرته إلى هاوية الضياع، كيف سيحمي أولاده من بركانها الثائر.كان صمت هشام يثير أعصابها أكثر، ويحول نظراتها إلى شرر

- أنت مش بترد عليا ليه؟

أبتسم وهو يحاول مسك يدها، ليذكرها بتلك اليد التي انتشلتها من الموت، أعطتها قبلة الحياة، منحتها حضنا ووطنا، وشهادة ميلاد جديدة وأسرة مستقرة، وحمزة وعلياء، ولكنها منعته من الاقتراب منه أو لمس جسدها، وتراجعت للخلف عدة خطوات حتى اصطدمت بالسرير وسقطت عليه، فاقترب منها، فأزاحته بيدها، وكادت أن تصرخ،لكنه كمم فمها حتى هدأت،

وأشارت إليه

- أوع تلمس جسمي... وقولي أنت عايز إيه؟

- عايزك تهدى عشان نفكر في المشكلة اللي إحنا فيها دي

- ده مشكلتك أنت حلها لوحدك، أنا ليا أهل..هاتصل عليهم وهيجوا يخدوني وبالسلامة أنت وأولادك.

كان ردها المستفز، وعباراتها التي تمتلئ بالسخرية، واستهتارها وعدم تقديرها المشكلة حق قدرها،عبارة عن قنابل متفجرة، فجرت بركان الغضب بداخله، وبكل قوه وعنف أمسك بيدها وسحبها خلفه، متجها للكنبة، دفعها بقوة فسقطت عليها، ووقف أمامها يتحدث بغضب

- أفهمى بقى.. الحادثة حصلتلك من خمسة وعشرين سنه.. و أنتي دلوقتى زوجة وأم لشابين هتفتخرى بنفسك على تربيتهم.. وكمان فين اهلك وفين نلاقيهم بعد العمر ده كله.

كانت تنظر إليه وهى ترتجف خوفا، من نبرة صوته الغاضبة، كان صوتها مرتعشا

- أنا عارفه نمره تليفون بيتنا..... قصدي بيت بابا

أشفق هشام عليها، فمد يده في جيب بنطاله واخرج هاتفه النقال، وطلب منها أن تعطيه الرقم.فكتبه بسرعة ومد يده لها بالهاتف، لتستقبل الرد، مدت يدها المرتعشة وأخذت منه الهاتف ووضعته على أذنها في انتظار الرد.....

كانت المفاجأة عندما جاءها الرد (الرقم المطلوب غير موجود بالخدمة). فانهمرت دموعها، وهى تمد إليه يدها المرتجفة بالهاتف، فأخذه منها وأعاده لجيبه، وجلس بجوارها على الأريكة، و اقترب منها في حنو بالغ، نظر في عينيها التي أصابها الانكسار والضعيف، وتحولت تلك النمرة الشرسة إلى حمل

وديع، تفتش عن حضن يحتويه، ففتح هشام ذراعيه، فلم تمنعه وهو يضمها لصدره، ويربت على كتفها في محاولة لاحتوائها،

- متقلقيش أنا وعدتك قبل كده أنى أرجعك لأهلك.. يمكن وقتها ظروفك الصحية ما ساعدتني أنى أوصلهم.. بس دلوقتى انتي افتكرت كل حاجة ومن السهل إننا نوصلهم

رفعت رأسها عن صدره، ونظرت له بعيونها الجميلة الدامعة، تأملت وسامته، حاولت أن تتذكر ذلك الرجل الذي يدعي انه زوجها، ضمها يوما بين أحضانه، عاشت معه لسنوات طويلة، أنجبت منه أولادها، حاولت أن تصدقه ولو مؤقتا، حتى تتحين الفرصة وتعود إلى بيتها حيث أمها و أبيها

- بجد هتساعدني ارجع لأهلي؟

- أكيد طبعا ده حقك مهما اختلافنا... بس الموضوع محتاج وقت..أنتي شايفه نمرة الفون اتغيرت ويمكن العنوان كمان يكون أتغير.. وده لان مصر كلها أتغيرت في الخمسة وعشرين سنة اللي فاتوا..

تركت حضنه، واعتدلت في جلستها، و ابتعدت عنه قليلا، ومسحت دموعها بيدها،

- مستحيل بابا وماما يبيعوا فيلتنا اللي في الزمالك.. ده ورث بابا من جدي وغالية جدا عنده

أطرق هشام رأسه أرضا، وهو يتهكم على كلامها، يخبرها أنه لم يعد للفيلا وجود فيحي الزمالك، وان أصحابها قد باعوها، و أقيم في مكانها أبراجا سكنية، فنهضت في غضب وعصبية.

- أنت ليه عايز تقفل كل الأبواب في وشي.. أنا هدور عليهم بنفسي.. وهوصلهم ومستحيل اقبل الو اقع اللي أنت عايز تفرضه عليا ده.

- أهدى عشان متقوليش كلام وترجعي تندمي عليه بعدين.

اقترب منها ووضع يديه على كتفيها، فأزاحت يديه عن كتفيها، وتراجعت للخلف قليلا، وهى تنظر إليه بحيرة، تحدث نفسها عن هذه الشخصية الغريبة، والتي تجمع بين الطيبة وهدوء الأعصاب وبين نظرات عيونه الثاقبة، التي تدل على قوة الشخصية ورجاحة العقل.

مرت لحظات وهى ترمقه بعينها، وتتفحص طوله الفارع وجسده الرياضي المتناسق، ووجه الممتلئ بلحيته وشاربه، وعيونه السوداء برموشها الطويلة، وزاد جماله نظارته الطبية، وشعره الأسود الناعم، المزين بشعيرات بيضاء، كل تلك الصفات زادته وقارا وهيبة، فأصبح وكأنه فارسا من فرسان القصص الرومانسية التي تعشقها.

أفاقها من شرودها طرقات على باب الغرفة، فتح الباب وإذا بالممرضة تخبرهما، بموعد الدواء وقياس الضغط، استلقت غادة على سريرها،حتى انتهت الممرضة من عملها، وغادرت الغرفة، بمجرد أن خرجت حتى عم الصمت أرجاء الغرفة، وكلا منهما ينظر للأخر، وكأنه يراه لأول مره، سحب هشام نفسا عميقا، وسوى لحيته بيده، و اقترب من السرير الجالسة عليه

- دلوقتى ممكن نتكلم بهدوء ونرسم حياتنا المستقبلية عشان كل واحد مننا يوصل لهدفه بسلام.

- قول اللي عندك؟

سحب المقعد وقربه من السرير وجلس بجوارها، حدق في عيونها المنتهية، وأردف

- أنتي عايزة توصلي لأهلك.. و أنا عايز أمهد الصدمة لأولادي.. واخرج بهم منها بسلام

أشاحت بوجهها بعيدا عنه، فلمس ذقنها بيديه في حنو، وحركها نحوه ليلتقي بعيونها من جديد

- صدقيني.. أنى أرجعك لأهلك.. بس ساعديني أعدي بأولادي من المحنة دي بسلام

- و إيه المطلوب منى دلوقتى؟

- انك ترجعي معانا وتعيشي مع الأولاد عادى جدا

كزت على أسنانها غضبا، وكشرت عن ملامح وجهها، أشاحت بيديها وهي تقوم من أمامه

- أنت عايزنى أعيش معاك أنت وأولادك في بيت واحد؟ ده من رابع المستحيلات طبعا.

ظهر الألم على قسمات وجهه ونهض من جلسته غاضبا، لماذا تغيرت إلى هذا الحد، سماح التي طلبت يده للزواج، الآن ترفض أن تعيش في بيتها معه ومع أولادها، حاول أن يذكرها، لكنها عادت إلى التمرد من جديد، تملكه الغيظ وبدا صوته يعلو ويبدو على ملامحه الغضب.

- أنتي عيشتي معايا لوحدنا ست شهور و أنا بدور على اهلك.. كنت ليكي الأب والأخ وحافظت عليكي.. دلوقتى عشان افتكرتي شوية أسماء وعناوين.. ربنا اعلم موجودين ولا لاء بترفضى تعيشي معايا أنا وأولادي.. اللي هما كمان أولادك يا مدام

شخصت غادة ببصرها في السقف، في محاولة لعدم التأثر من ملامح وجهه، وأسلوبه الذي تحول شيئا فشيئا، وبدا يفقد اتزانه، الذي بدا في بداية الحوار معها، وأكمل هشام كلامه

- لو سمحتي افهمي.. لازم الأولاد يعيشوا معاكي.. ويشوفوا التغير اللي حصل في شخصيتك.. عشان يصدقوا كلامي.. لما أحكى ليهم حكايتنا.. والظروف اللي جمعتنا

هزت قدمها بعصبية، وتقلصت جبهاتها، وأعلنت رفضها لكلامه غير المقبول

شكلا وموضوعا، فاقترب منها وامسك عضدها مكملا كلامه، بحدة وعصبية، وبدا انه قد تخلى عن هدوءه تماما

- مش هسمحلك تضيعي مستقبل أولادي مهما كلفني الأمر

ودفعها بقوة وهم خارجا من الغرفة، لكنه اصطدم بحمزة وعلياء على باب الغرفة، فتراجع للخلف مبتسما، هو يرحب بهما، ويخبرهما أن ماما سماح في انتظارهما، والتفت نحوها يرمقها بغضب. هرول الأولاد عليها، يقبلون رأسها ويدها، يحتضنوها بقوة، والابتسامة والفرحة ظاهرة على وجوههم ووقفا أمامها مبتسمين

- حمد لله على سلامتك يا ماما.

اقتربت في وجل من علياء وحمزة، وهى تنظر لهشام في خوف، وهو يتوعدها بنظرات عيونه، ويخاطبها بلهجة بدا منها التهديد غير المباشر،

- طيب أسيبكم مع ماما.. وأروح مشوار ضروري.. ولما هرجع هنروح كلنا على البيت.. خلاص يا حاجة سماح.. اتفقنا.. ولا ناوية تطولي في المستشفى

نظرت إليه في خوف، صمتت، لكن عيونها كانت تائهة، هزت رأسها بالمو افقة و ابتسمت ابتسامة باهتة ليس لها معنى.

- ٢ -

جلس هشام في غرفه مكتبه بشركة السماح للإنشاء والتعمير وضع كفه على خده، شارد الذهن، يفكر فيما سيحدث في غرفة المستشفى بين غادة وأولاده،كيف ستتعامل معهم؟ ماذا ستقول لهم؟ لدرجه انه لم يسمع طرقات شريكه المهندس محمد الصائغ على الباب، ودخوله عليه ووقوفه أمام المكتب لدقائق، ينظر إلى حاله في اندهاش.أنحنى نحوه وربت على كتفه قائلا

- وحد الله يا هشام

تنبه هشام وجحظت عيناه، و أفاق على صوت محمد وكأنه كان غارقا في غيبوبة

- لا اله إلا الله..... أنت هنا من امتى؟

- طيب قولي أقعد الأول

- أتفضل اقعد ده مكتبك.

فجلس محمد على المقعد المقابل للمكتب، وأخذ ينظر لهشام باستغراب من حالة الشرود وعدم التركيز الواضحة عليه.

- مالك؟ و إيه الحالة الغريبة اللي أنت فيها دي؟

- أنا بخير متقلقش

- مش الحاجة سماح فاقت من الغيبوبة وبقت كويسة؟

تدلى فك هشام، و انقطعت أنفاسه، وزاغت عينياه شرودا، ولم يرد، بل عاد إلى حالة الشرود من جديد، قبض محمد جبينه في اندهاش، لعدم رد هشام فسأله وبدت عليه علامات القلق

- الحاجة سماح حصلها مكروه؟

نظر إليه هشام، وهز رأسه في حزن، وقد ترقرقت عيناه بالدموع

- الحاجة سماح ماتت

صدم محمد من تلك العبارة المرعبة، وجحظت عيناه، وقام مفزوعا

- لا اله إلا الله.. حصل امتى ده؟

هشام والدموع تنهمر من عيناه لتغرق لحيته

- من يوم ما وقعت في الحمام وفقدت وعيها

سحب محمد نفسا عميقا، ثم عاود الجلوس في دهشة، ونظر لهشام بحزن

- أنت قولت في الفون أنها فاقت وبقت كويسة..إيه اللي حصل بس فهمني؟

ضرب هشام بكفيه على المكتب، وهم و اقفا فبدا كشيخ عجوز تراكمت الهموم عليه، حتى أحنت ظهره، و أبدلت سعادته حزنا، كان يبدو عليه القلق والتوتر

- اللي فاقت من الغيبوبة غادة جلال بركات

- أنت بتقول إيه؟ أنا مش فهم حاجه؟؟

- ولا أنا والله يا محمد

محمد محاولا أن يهدى من حالته

- أقعد يا هشام وفهمني

جلس هشام مرة أخرى، واخذ نفسا عميقا، ثم زفره ومد يده وضغط على جرس بجواره، ثو اني وطرقت الباب سكرتيرة المكتب، وقفت أمامه في احترام

- تحت أمرك يا فندم

- أولا.... ابعتيلي الأستاذ عماد رئيس العلاقات العامة..وثانيا هاتى فنجانين قهوة ثالثا بمجرد ما يدخل أستاذ عماد أنا في اجتماع مغلق.. ممنوع المقابلات والاتصالات

هزت رأسها بالاستئذان، وأدارت ظهرها، وبمجرد أن انصرفت وأغلقت الباب خلفها، حتى مد محمد الصائغ يده في جيب بنطاله، واخرج هاتفه النقال

وأغلقه، ثم التفت نحو هشام قائلا

- عشان نتكلم براحتنا وبدون إزعاج

دقائق وطرقت السكرتيرة باب الغرفة، فدخلت ووضعت القهوة أمامهما، انصرفت ودخل بعدها الأستاذ عماد والذي وقف أمامه بطوله المتوسط، حملق في هشام، عدل من وضع نظارته الطبية

- تحت أمرك يا باشمهندس

أعطاه هشام ورقة في حجم كف اليد، فأخذها منه في اهتمام، نظر فيها، ثم التفت إلى هشام

- عايز أعرف كل المعلومات عن الشخصية المكتوبة في الورقة دي

- تحت أمرك... يومين وتكون كل المعلومات عند حضرتك

واستأذن مغادرا غرفة المكتب، أخذ محمد فنجان القهوة، ارتشف منها رشفة ثم نظر لهشام، الذي اخذ فنجان القهوة، وشرع يرتشف منه، وهو يحملق في تلك الصورة التي تتصدر مكتبه، والتي تجمع بينه وبين زوجته سماح وأولاده، لكن أفاق على صوت محمد

- احكي بقى الحكاية بهدوء عشان افهم

وضع هشام فنجان القهوة الفارغ أمامه، والتفت نحو محمد، ليروي له ما حدث بالتفصيل

- طبعا أنت عارفه حكايتي مع سماح من أولها.

- أيوه طبعا وشاهد على عقد جوازكم.. رغم اعتراضي عليه وبشدة و أنت فاكر.

أخذ هشام نفسا عميقا وزفره بألم، وهو يعتدل في جلسته ويسند ظهره على المقعد، وأخذ يسرد لصديقه محمد، كيف كانت سماح فتاة هادئة ومهذبة مطيعة، وبعد زواجهما كانت زوجة صالحة وأم ممتازة، وكيف وقفت بجواره وساعدته في التقدم في عمله، حتى أصبح يمتلك شركة كبيرة تحمل اسمها،

كيف هيأت له سبل الحياة السعيدة والأسرة الرائعة، وعن تربيتها لأولادها وعن تفوقهم العلمي وتربيتهم على الالتزام والتدين،فاندهش محمد من كلام هشام، الذي يحفظه عن ظهر قلب، فالعلاقة بينهما لم تنقطع، غير ذلك التقارب بين الأسرتين، وتأكده من كل ذلك

- كل كلامك ده أنا عارفه... فين المشكلة؟ وإيه علاقته بكلامك عن موت الحاجة سماح!!!

- سماح فاقت من فقدان الذاكرة اللي في المستشفى دلوقتى غادة جلال بركات البنت اللي انقذتها يوم حادثه الأتوبيس.

نظر إليه محمد، وقد جحظت عينيه، وتدلى فكه، فضرب بيده على جبينه قائلا

- يا نهار اسود... ده اللي حذرك منه دكتور محمود

- فعلا... ق إلى إنها لو رجعت ليها الذاكرة هتنسى كل شئ.. وضيف كمان أنها إنسانة متمردة ومغرورة.ور افضة كل كلامي عن حياتها خلال الخمسة وعشرين سنة اللي فاتوا.

كز محمد على أسنانه، وهو ينظر بغضب، وكأنه يذكره بتحذيره ومعرضته لتلك الزيجة بضراوة، وإصرار هشام على المضي قدما في تلك الزيجة، بينما استمر هشام في سرد أوجاعه

- رفضاني كزوج وغير معترفة بأولادها. والمصيبة الأكبر مصره على عدم العيش معانا في البيت وبتقولي ازاى أعيش معاك أنت وأولادك في بيت واحد.

أخذ محمد يضحك بصوت مرتفع، حتى دمعت عيناه، وقال في نبرة شماتة في هشام

- فعلا خيرا تعمل شرا تلقى

نظر إليه هشام بغضب، وأشاح بوجه بعيدا عنه، فشعر محمد بالخجل من رد فعله، فأعتذر لهشام مبررا أن شر البلية ما يضحك، فطلب منه هشام أن

يفكر معه، وان يترك نبرة التأنيب التي فات أوانها منذ سنوات طويلة، لقد احضره إلى مكتبه لكي يساعده في الخروج من الأزمة

- قولي اعمل معها إيه دلوقتى؟

- اللي أنت قولته عين العقل.. أنها تعيش معاكم في البيت.. يمكن ربنا يهديها وترجع لعقلها

ظهر الضيق والغضب على وجه هشام، بينما محمد يكمل كلامه بارتباك

- الأهم هيكون إيه تصرفها مع الأولاد.

نهض هشام مسرعا، يلملم هاتفه وعلبه سجائره وسلسل مفاتيحه، وكأنه قد تذكر شيئا هاما ويجب عليه الانصراف وبأقصى سرعة، لقد تذكر أن غادة مع أولاده في المستشفى ويجب أن يلحق بهم قبل أن تحدث كارثة وقال على عجل وهو يتحرك نحو باب الغرفة

- يلا أنا ماشى.

استوقفه محمد بدهشة

- إيه اللي حصل؟

رد هشام بقلق وتوتر

- أنا سايب الأولاد معها في المستشفى

محمد بجدية

- طيب فهمني هتعمل إيه معها؟

رد هشام بحيرة

- هخدها ونروح البيت وهناك يفرجها ربنا

محمد بحزن

- ربنا يعينك ويقويك

ترك هشام محمد في مكتبه، وغادر الشركة متجها إلى المستشفى.

-٣-

في غرفتها بالمستشفى، كانت غادة تجلس مع أولادها حمزة وعلياء في صمت، أطرقت رأسها إلى الأرض في شرود، وكأنها تفكر في شيء، تفكر في كيفية الخروج من تلك الورطة، تود لو أنها فتحت باب الغرفة، وغادرت المستشفى، هرعت إلى حي الزمالك، حيث بيت ابيها، ترتمي في أحضان أمها و أبيها، ترجع إلى حياتها التي تفتقدها، تهرب من ذلك الرجل الذي يدع انه زوجها، وتلك الأسرة التي تريد أن تأسرها. نظر إليها حمزة في حنان

- مالك يا ماما شاردة في إيه؟

ردت غادة بضيق، وكأنها لا تريد أن تدخل في نقاش مع احد، كفي ما حدث مع هشام

- بفكر في حياتي واعمل إيه بكره

رمقها حمزة في صمت ولم يعلق، فتنهدت غادة بحنق، تلفتت حولها، نظرت إلى تلك الساعة المعلقة على الحائط، اتجهت نحو النافذة، تريد أن تخرج من المستشفي بأقصى سرعة

- هو هشام ده أتأخر ليه كده.. أنا عايزة امشي من هنا

رفعت علياء حاجبها باستغراب، تستنكر أسلوب غادة في الكلام عن أبيها

- ماما انتي ازاى بتتكلمى عن بابا كده؟

التفتت نحوها وردت بعصبية، وأشاحت بيدها في وجه علياء، وعاودت التطلع من النافذة، تتابع المارة في الشارع

- مالكيش دعوه بيا انتي كمان

أقترب حمزة من علياء، وربت على كتفيها قائلا

- معليشى يا علياء متزعليش من ماما أكيد هى مضايقه ونفسيتها تعبانه اللي

حصلها مش سهل

ردت علياء بحزن. ماما متغيره يا حمزة حاسة أنها مش ماما سماح

وقبل أن يرد عليها، سمع دقات على باب الغرفة، نهض حمزة وفتح الباب فوجد والده امامه

- بابا ليه بتخبط على الباب وما دخلتش على طول؟

تقدم هشام نحو حمزة مبتسما، ومسح بيده على شعره الناعم، والقي بالسلام، فردت عليه علياء، و اقتربت منه في شوق، فاحتضنها وطبع قبله على جبينها و أبتسم

- وحشتيني يا قلب بابا

ثم تقدم نحو غادة، الو اقفة بجوار الشباك ترمقه بعيونها، وهو يحتضن علياء بيده، وبيده الأخرى يمسك بيد حمزة، ووقف أمامها مبتسما، وكأنه يعرض عليها أسرتها، يذكرها بأسرتها

- حمد الله على السلامة يا أم حمزة.

فنظرت إليه في غضب، وهي تضغط على أسنانها بغيظ، ولكن هشام كان متحفظا بابتسامته الجميلة الهادئة، التي حاول من خلالها أن يبدو قويا أمام أولاده، خصوصا ان مخاوفه قد تبدلت بعدما، عاد فوجد الأجواء هادئة، قالت في غيظ

- أنا زهقت وعايزه اخرج من هنا

- أنا خلصت إجراءات خروجك... غيري هدومك

- فين هدومى؟

ردت علياء بسرعة، وهي تعطي أمها ملابسها

- أهى يا ماما أنا جبت لحضرتك طقم كامل فستان وطرحة وجزمه

أخذت غادة الملابس، و اتجهت نحو الحمام لاستبدال ملابسها، وجلس هشام

على الأريكة التي تحتل الحائط المقابل للحمام، وحمزة على يمينه وعلياء على يساره، نظر إليه ما وبابتسامه حانية

- طبعا فرحانين أن ماما ربنا تم شفاها على خير وراجعه معاكم البيت

نظرت علياء إليه، وأطرقت رأسها في الأرض، فظهر القلق على وجه هشام، فالتفت نحو حمزة وربت على كتفه وقال في قلق

- إيه اللي حصل و أنا مش موجود يا حمزة؟

ردت علياء بسرعة وكأنها كانت تنتظر سؤال والدها، لتشكي له من أمها وكلاماتها غير المقبولة

- ماما يا.....

ولكن قطع كلامها خروج غادة من الحمام، وهى تمسك بيدها الفستان الذي أحضرته لها علياء وبصوت مرتفع وبعصبية شديدة اللهجة، أشاحت بيدها،

- إيه القرف ده؟

نهضت علياء بسرعة نحو والدتها

- ماما ده لبسك أنا جايباه من دولابك

نظرت إليها غادة بغضب، وكان رد علياء قد أشعل نيران غضبها من جديد، فشعرت انه مخطط لإلغاء غادة من الوجود، وطمس هويتها، وإحلال تلك المدعوة سماح مكانها

- انتى مجنونه.. أنا مستحيل يكون ده استايلى وذوقي في اللبس

التفتت علياء نحو والدها، وكأنها تستنجد به لحل هذا الموقف، فنهض هشام من مكانه وتقدم نحو غادة وعلياء، ووقف بينهما، ينظر لغادة والحمم تتطاير من عينيه

- أدخلي ألبسهم دلوقتى عشان نخرج من هنا وفى بيتنا نبقى نشوف المشكلة دي.

قاومت غادة غضبها حتى زفرت نفسا حارا، وهمت بدخول الحمام مره أخرى، لارتداء الفستان تنفيذا لأوامره

اقترب حمزة من والده

- بابا هو إيه اللي بيحصل؟ وماما ليه متغيره كده؟

ربت هشام على كتف حمزة بحنان وهو مبتسما بحزن

- في الوقت المناسب هشرحلك و أفهمك كل شئ

- اللي تشوفه يا بابا

هشام وهو ينظر لأولاده

- الأهم انكم متزعلوش من ماما وبلاش تحسسوها ان تصرفاتها غريبه مهما عملت او قالت... ماما يا حبايبى بتمر بازمه.. ولازم كلنا نساعدها تخرج منها بسلام

- حاضر يا بابا

خرجت عليهم غادة وهى ترتدي الفستان، ولكن بدون غطاء رأسها، كانت تمسكه في يدها و بعصبيه وكأنها تريد ان تطير إلى خارج المستشفى

- يلا أنا جاهزة

تقدم حمزة نحوها، و انحنى وهو يطبع قبله على يدها، ويمد يده ليسحب الوشاح منها، ويضعه على رأسها، ويلف أطر افه حول عنقها، و ابتسم قائلا

- انتى كده أجمل يا ست الكل

نظرت إليه غادة، رغم عدم رضاها عن الوشاح، لكنها اضطرت أن تهزرأسها بالمو افقة وتقول

- يلا بقى نخرج من هنا..

حمل حمزة الحقيبة، واحتضن كف أمه،وسار بها إلى خارج الغرفة، وسار هشام وعلياء خلفهما، مغادرين المستشفى ليستقلوا السيارة، وقف الجميع

بجوار سيارة هشام،نظرت غادة لحمزة ويبدو عليها التوتر

- أنت هتركب فين يا حمزة؟

- حضرتك هتركبي مع بابا عربيته.. و أنا وعلياء هنركب سوا في عربيتي.. وهنمشى ور اكم ومتقلقيش هسوق على مهلي.

- لا أنا هركب معاك.. وعلياء تركب مع باباها

قالت علياء بتعجب

- من امتى يا ست ماما.. بتسمحي لحد يركب جنب بابا غيرك

رد هشام والحيرة ترتسم على وجه

- خلاص يا علياء سيبى والدتك على راحتها. وتعالى معايا... و انت يا حمزة خد بالك من والدتك

أخذ هشام علياء في سيارته، وغادر المكان وهو يحاول كتم غيظه، ومد حمزة يده على مقبض باب سيارته وفتحه، و انحنى لوالدته قائلا

- إتفضلي يا مولاتي

ابتسمت غادة وركبت السيارة، وأغلق حمزة الباب، وركض إلى الجانب الأخر، و اتخذ مجلسه أمام عجلة القيادة وأدار السيارة، وفى طريق عودتهم للبيت،كانت غادة تنظر على جانبي الطريق، في تعجب من تلك التغيرات الرهيبة التي طرأت على الشوارع والبنايات والسيارات والموضة في تلك الفترة الوجيزة، التي كانت ترقد فيها في سريرها، حتى أفاقت من غيبوبتها.والتفتت إلى حمزة وقالت

- ممكن نروح حي الزمالك؟

قال حمزة بتعجب

- أول مره اسمع حضرتك تجيبي سيره الزمالك؟ ليك مين هناك يا ماما؟

ابتسمت غادة بحزن

- حياتي اللي اعرفها كلها هناك

ارتسمت علامات الاستغراب على ملامح حمزة، بينما أكملت غادة كلامها بتنهيده متعبة وحزينة

- متقلقيش هيجى يوم وهتعرف كل شئ

- اللي يريحك يا ماما.... بس بعد أذنك هناجل مشوار الزمالك لبكرة

أومأت رأسها بالموافقة، وأشاحت بوجهها نحو شباك السيارة، وأخذت تحادث نفسها

- ياترى إيه اللي باقى هناك على حاله؟ازاي نسيوني كده بسهولة؟

كانت دموعها تنهمر على خديها، والألم يعتصر قلبها، ويكاد عقلها أن ينفجر، من تزاحم الأفكار والأسئلة التي لا تعرف لها إجابات، التفت إليها حمزة، فانزعج من دموعها التي تنساب بلا حساب، وقال بحزن

- ماما.. مالك بتعيطي ليه؟

سؤال حمزة أفاقها من شرودها، ولكنها ردت بحزن، وهى تمسح دموعها

- لسه فاضل كتير على البيت

زم حمزة شفتاه، ورفع حاجبيه بتعجب من سؤالها، ولكنه لم يرد، فأكملت كلامها

- ممكن تقف على جنب تشتريلي سجاير

نظر اليها حمزة باستغراب شديد، من ذلك التحول الكبير في شخصية امه الحاجة سماح

- ماما.. انتي من امتى بتشربي سجاير؟

ابتسمت غادة بسخرية من سؤاله

- دي الإنسانة اللي أنت متعرفهاش

أوقف حمزة السيارة على جانب الطريق والتفت إليها

- حضرتك تقصدي إيه بكلامك ده؟ ومين الإنسانة دي؟

نظرت غادة إليه بحزن ولم تجبه، فنظر في عيونها ينتظر الإجابة وقال في حيرة

- إيه يا ماما مبترديش ليه؟

- هتعرف كل شئ في الوقت المناسب... يلا دلوقتى عشان والدك ميقلقش عليك

اطرق حمزة رأسه بحزن، وأدار السيارة متجها نحو البيت.

- ٤.

كان هشام في غرفة مكتبه، ينتظر عودة غادة وحمزة بقلق شديد، ينظر بين كل لحظة وأخرى في ساعة يده، لكن تأخرهم زاد من قلقه، كانت الوساوس تدور في رأسه، هل هربت من حمزة، لتذهب إلى حي الزمالك حيث بيت أهلها، هل حكت لحمزة عن قصتها معه، هل أظهرت تلك النمرة المتوحشة، أم أنها أوفت بعهدها، والتزمت الصمت حتى تنتهي القصة بسلام، خرج من غرفة المكتب، ووقف في وسط الصالة يفتش حوله، مناديا على علياء، التي حضرت بسرعة، ووقفت أمامه، فسألها في توتر

- حمزة ووالدتك لسه موصلوش؟

فأجابته بالنفي، فجز على أسنانه بغيظ، وشرع يلعن سوء تصرفه بان تركها مع حمزة

- والباشمهندس حمزة قافل تليفونه. هيكونوا راحوا فين؟

- معليشى يا بابا يمكن فونه فصل شحن.

- رمقها هشام في صمت، وتركها وعاد إلى غرفة مكتبه وأغلق الباب خلفه، وقفت علياء مكانها حائرة،لا تعرف كيف تتصرف، حتى سمعت صوت المفتاح، يولج في ثقب الباب،فتح حمزة الباب ووقف قائلا

- اتفضلي يا ماما

نظرت غادة إلى داخل الشقة بتوتر واضح، كانت مترددة في الدخول، فقبض حمزة جبينه مبتسما، والتقط أناملها وسحبها لداخل الشقة.

- شفتى الشقة نورت ازاي يا ست الكل.

سحبت غادة نفسا عميقا، ثم هزت رأسها إيجابا، فهرولت نحوها علياء، وهي تنادى على والدها

- حمزة وماما وصلوا يا بابا

و انحنت على خد والدتها وقبلتها، وهى تحتضنها بشدة،خرج هشام من غرفته، على صوت علياء فوجد غادة تقف على باب الشقة من الداخل، فتنهد بفرح

- حمد لله على السلامة يا أم حمزة.. نورتي بيتك

- الله يسلمك... البيت منور بصحابه

أبتسم هشام لهذا الجو العائلي الجميل، الأشواق الحارة، والابتسامات المتبادلة، العناق والقبلات

- أنتو هتحتفلوا برجوع ماما على باب الشقة

نظروا إلى بعضهم البعض، وضحكوا بصوت مرتفع، فأكمل هشام

- حمزة خد والدتك على غرفتها عشان ترتاح... و أنتي يا علياء حضري الغداء

رد حمزة وعلياء بصوت واحد

- حاضر يا بابا

كانت غادة ترمقه بعينيها في صمت، حتى التفت ودخل غرفة مكتبه مرة أخرى، ربت حمزة على كتف أمه، وأخذها إلى غرفتها، وادخل حقيبة ملابسها ووضعها بجوار الدولاب، وغادة و اقفة بجوار الباب من الداخل، تهز قدمها بعصبية،اقترب منها حمزة، وقبل خروجه من الغرفة سألها

- تأمري بشئ تانى يا ماما

أومأت برأسها سلبا، فأكمل حمزة كلامه وهو يبتسم

- عقبال ما تغيرى هدومك هيكون الغداء جاهز.

خرج حمزة من الغرفة، فأغلقت غادة الباب خلفه بالمفتاح، وجلست على الأرض مستندة بظهرها على الباب، وضمت ركبتيها لصدرها، ودفنت رأسها بين رجليها، وغرقت في البكاء.

ذهب حمزة لغرفة مكتب والده، طرق الباب ودخل، أقترب حمزة من والده

الجالس خلف المكتب، ووقف امامه قائلا

- بابا.. أنا بعد إذن حضرتك... بكره أخد ماما ونروح الزمالك

نظر إليه هشام وقد اتسعت عيناه، ونهض من مكانه، و اقترب من حمزة

- و انت عايز تاخد والدتك وتروح الزمالك ليه؟

- بعدما خرجنا من المستشفى ماما طلبت منى نروح الزمالك، بس أنا قولتلها المسافة بعيدة ونخليها لبكرة، اكون استأذنت من حضرتك

- وماما مقالتش عايزه تروح الزمالك ليه؟

- سالتها بس هى مردتش عليا

ربت هشام على كتف حمزة مبتسما وقال

- لا انت تروح كليتك وتشوف دراستك و أنا اللي هقوم بالمهمة دي

هز حمزة رأسه بالمو افقة، وبدون أن ينطق كلمة، استأذن من والده للخروج، و اتجه نحو الباب ببطء وكأنه يفكر في العودة من جديد، وضع يده على مقبض الباب، لكنه تراجع وتقدم نحوه

- ممكن أسال حضرتك سؤال؟

هز هشام رأسه إيجابا، وثبت عيونه في عيون حمزة، الذي بدت على وجهه علامات الخجل

- بابا فيه حاجة غريبة بينك وبين ماما أنا مش فهمها

- ليه بتقول كده يا حمزة؟

- من اللي شايفه بينكم، الكلام رسمي وبحساب ورفض ماما تركب السيارة مع حضرتك

تنهد هشام بحزن، و ابتسم وقلبه يعتصر حزنا، يفتش عن رد مناسب يريح قلب ابنه، لكنه لم يجد فاقترب منه وحضنه، واخذ يمسح بيده على شعره

- متقلقش يا حبيبي أزمة وتمر... المهم انك تركز في دراستك يا باشمهندس.

رفع حمزة رأسه، وقد اغرورقت عينيه بالدموع، وهو يخرج من غرفة المكتب، متوجها نحو غرفته، رأته علياء الواقفة في المطبخ تعد طعام الغداء، فنادت عليه بصوت منخفض، فذهب إليها، رأت الدموع في عينيه، فعقدت حاجبيها وهى تنظر إليه، وتسأله عن سبب دموعه،

- مفيش حاجة قولي عايزة إيه؟.... ولا امشي؟

- قول لبابا وماما السفرة جاهزة

ذهب حمزة لغرفه أمه وطرق الباب،ردت غادة بحزن وهي تنهض من جلستها على الأرض وجففت دموعها بسرعة وفتحت الباب، وقف حمزة أمامها ينظر إليها بحزن، رأى آثار الدموع في عينيها، فأشاحت بوجهها عنه، فلامس ذقنها في حنو، حتى التفتت نحوه، سألها عن سبب دموعها التي لم يعتاد عليها، تلك الأم القوية التي لا تخاف ولا تقلق، تلقي مشاكلها على الله

- مفيش أنا مخنوقة بس؟

ربت حمزة على كتفها، وهو يردد المعوذتين، حتى هدأت وتوقفت عن البكاء، سمع هشام حوارهما عند مروره متجها لغرفة نومه، فتنهد بحزن وتمتم ببعض الأدعية، ولم يشعرهما بوجوده، وحمزة يطمئن أمه، بأنها أزمة وستمر ككل تلك الأزمات التي واجهت الأسرة و انتهت، فنظرت إليه بحزن، حاولت أن تبتسم، لكي تزيل عنه تلك المخاوف التي بدت على وجهه.

جلس الجميع على مائدة الطعام، وساد الصمت قليلا،فقطعه هشام عندما نظر لغادة مبتسما

- تسمحيلى يا أم حمزة أعزمك بعد الغداء على فنجان قهوة في غرفة المكتب

نظرت إليه غادة وهزت رأسها بالموافقة.

جلس هشام خلف مكتبه، ينظر للباب في انتظار قدوم غادة، وما هى إلا دقائق حتى طرقت علياء الباب ودخلت وهي تحمل صينية عليها فنجانين من

القهوة، وخلفها غادة تنظر في قلق وتوتر، وضعت علياء الصينية على المكتب أمام والدها، و اتجهت إلى باب الغرفة، للذهاب إلى غرفتها لتستريح من عناء إعداد المائدة وعمل القهوة، وبينما تمد يدها على مقبض الباب لتغلقه خلفها،حتى نادى عليها والدها، وأمرها أن تترك الباب مفتوحا. نظرت إليه غادة باندهاش، ولكن هشام لم يعط اهتماما لنظراتها، وعلياء تترك الباب مفتوحا وتتجه إلى غرفتها. نظر هشام الى غادة ومد يده وأعطاها فنجان القهوة، فمدت يدها وأخذته من يده،فتح هشام درج مكتبه وأخرج علبه سجائره والقداحة ووضعهما أمامها

- أتفضلي... تقدري تدخني براحتك

- عرفت ازاى إني بشرب سجاير؟

مسح هشام ذقنه بيده،وأسند ظهره على خلفيه المقعد، وغادة تمد يدها وتأخذ علبة السجائر وتسحب واحدة بشفتيها على الطريقة الأمريكية، وأشعلتها وسحبت نفسا عميقا لصدرها، ثم زفرته بقوة، ليرسم سحابه كثيفة، كأنها فوهة بركان، في انتظار إجابته، فقال بهدوء

- من لحظه ما شيلتك من على الأرض..وجريت بيكي على سيارتي في محاولة لإنقاذك

- مكنش فيه سيارة إسعاف تاخدني ليها أفضل.

- رفضوا ياخدوكي وقالوا انك ميتة.

رمقته بنظره تدل على عدم التصديق، ولكن هشام استمر في حديثه

- كان في شئ جوايا بيقولى انك عايشه.. وعشان كده اخدتك في عربيتي.. وجريت بيكى علي المستشفى.. رغم كل المخاطر اللي كنت ممكن أتعرض ليها قالت غادة وحمم من الشرر تتطاير من عينيها

- ياريت سيبتنى مرمية على الأرض ومت وارتحت من اللي أنا فيه ده؟

زم هشام شفتيه، ولم يعلق على كلامها، فأكملت بعصبيه اكبر

- تقدرتقولى إيه الفايدة اللي عادت عليا.. لما عملت فيها شهم و أنقذتني زى ما بتقول،

التزم هشام الصمت، واستمرت غادة في حديثها

- أقولك أنا يا شهم ضيعت خمسة وعشرين سنة من عمري بعيدة عن أهلي اللي أنت حرمتني منهم ودلوقتي عايزتفرض عليا أسرتك وبيتك وأولادك

كان هشام يضع كفه على خده، وهو يرمقها في صمت، وهى تتحدث بعصبية ويدها ترتعش، وهى تضع السيجارة في فمها، وتسحب أنفاسا لصدرها،وتهدده في غضب بأنها من الصباح الباكر، ستفتش عن أهلها، لأنه من المستحيل أن تتقبل تلك الحياة، التي يريد أن يفرضها عليها الآن كما فرض حياته عليها من قبل، ابتسم هشام ساخرا من كلامها، ومد يده واخذ فنجان قهوته يرتشفها في هدوء. فشخصت بعينها في سقف الغرفة ثم التفتت إليه

- أنا هرجع لأهلي برضاك او غصب عنك

وبضيق وحنق وضع فنجان القهوة على الصينية من جديد، ومد يده وسحب ورقه بيضاء وقلم ووضعهما أمامها قائلا

- خدي اكتبي هنا كل شئ عن اهلك،اسم بابا وعنوان بيتكم وعنوان شركته واى شئ تفتكريه

فأمسكت بالقلم لتكتب ما تتذكره، ولكن توترها ورعشة يدها منعتها من الكتابة، وكأن عقلها توقف عن التفكير، فنظر إليها هشام بعصبية

- مالك ما بتكتبيش ليه؟

فوقفت في عصبية و انسحبت من الغرفة وهى تضرب الأرض بقدمها، دون ان تنطق بكلمة.

- ٥ -

كان هشام قد انتهى من صلاه الفجر وقراءة القرآن والأذكار، مد جسده على سريره وضع كفيه خلف رأسه، يحملق في سقف الغرفة، ويفكر بعمق في تلك الإنسانة العنيدة المتمردة، وكيفية التعامل معها، أعياه التفكير فنهض من السرير، وغادر الغرفة ليطمئن على أولاده، ويستشف رد الفعل تجاه ما يحدث، أقترب من غرفة علياء، كان الباب مفتوحا، وعلياء ليست بغرفتها. لكنه التفت على صوت إقدامها، قادمة من الحمام وبيدها منشفة، تلقي عليه تحية الصباح

- صباح النور... يا حبيبه بابا لسه ما صلتيش لدلوقتى ليه يا علياء

- اخدتنى المذاكرة ومخدتش بالى من الوقت

أقترب منها هشام وربت على كتفها بحنان

- بلاش حاجه تشغلك عن صلاتك الله يبارك فيكي حتى لو المذاكرة

وتركها واستدار نحو غرفة حمزة ليطمئن عليه، لكنه عاد أدراجه على صوت علياء

- بابا على فكره ماما ما صحيتش تصلي الفجر ولا حتى صلت قيام الليل

- أكيد تعبانه وراحت عليها نومه... الله يعينها

فتحت الداده باب الغرفة بهدوء، ثم اتجهت إلى ناحية الشباك المغلق، فتحته على طول ذراعيها، فدخلت أشعة الشمس، لتفرش النور في جميع أرجاء الغرفة، مداعبه عيون تلك النائمة، التي خبأت بيدها عينها، ثم قالت بغيظ وهى تفرك فيهما

- يووه يا داده بأه سبينى انام و اقفلى الزفت ده

- قومى يا غادة يابنتى هتتأخرى عن المحاضرة... الساعة بقت تمانية

سحبت الغطاء على رأسها بسرعة وهي تنكمش على نفسها

- معنديش محاضرات النهاردة

الداده بهدوء تسحب الغطاء من فوق جسدها

- يا بنتى حرام عليكى كده ليكى اسبوع مدخلتيش الكلية

تسحب غادة الغطاء من يد الدادة، وهي تقنعها ان تتركها

- طيب اقفلي الشباك..وسيبنى أنام النهارده..واوعدك بكره هروح

- لايا غادة كده مينفعش يا بنتى كل يوم سهرلوش الفجرونوم طول النهار.

انحنت علياء على خد والدتها، وقبلتها وهى تغادر مائدة الإفطار، تحتضن كتبها الجامعية

- ادعيلى يا ماما

أفاقت غادة من شرودها، ونظرت لعلياء

- بتقولى حاجة يا علياء؟؟

ابتسمت علياء

- اللي واخد عقلك يا ماما سرحانة في مين؟

رددت غادة بحزن

- في الدنيا.....

قاطعها هشام بغضب

- يلا يا علياء أنزلى هتتأخرى على محاضر اتك.

ركضت علياء نحو والدها مبتسمة وطبعت قبلة على جبينه

- حاضر يا سى بابا... فهمت وهنزل علشان الجو يخلى

و اتجهت علياء نحو الباب مغادره الشقة، ساد الصمت بينهما لحظات، وهما ينظران لبعضهما البعض، قطعت غادة الصمت بسؤالها

- وجودى مدايقك؟

هز هشام رأسه نافيا واستأذن مغادرا المائدة متجها لغرفة مكتبه، وما هى إلا دقائق حتى لحقت به، أمسكت مقبض الباب وأدارته، ثم أدخلت رأسها من وراء الباب، وطلبت الدخول، فضحك هشام

- ما أنتى دخلتى خلاص

تقدمت غادة نحو المكتب الجالس خلفه هشام، ووقفت أمامه ومدت يدها إليه بورقة

- دي كل المعلومات اللي طلبتها واللي لسه فاكرها عشان ننزل ندور على اهلي

- طيب اتفضلي اقعدى الاول

جلست غادة، وطلبت منه سرعة البدء في البحث عن أسرتها، قهقه هشام بسخرية

- انتى رجعتينى بكلامك ده خمسة وعشرين سنه وراء

رفعت حاجبيها باستغراب من ضحكته وكلامه. فأكمل هشام كلامه

- من خمسة وعشرين سنة أنا كنت بعمل كل شئ في مقدرتى عشان ارجع البنت اللي أنقذتها من الموت واللي بعد كده اكتشفت إنها فاقده الذاكرة اثر الحادثة الخطيرة اللي أتعرضت ليها ومع ذلك لما أصرت ابحث وأدور عن أهلها، مخلتش مستشفى ولا قسم شرطة إلا ودورت فيهم على بلاغات عن بنات مفقودة،حتى الجرايد عملت إعلانات فيها وبردو ما وصلت لأهلها.هى نفسها يئست ولكن أنا لم أيأس مع أنى في نفس الوقت جاتلى فرصة السفر اللي كنت بحلم بيها طول عمري ولكني رفضتها عشان أوفي بوعدي و اقدر أوصلها لأهلها ولكنها فاجأتنى وهى بتعرض عليا الجواز وأنها تسافر معايا السعودية واستلم شغلي ونبدأ حياه جديدة أنا وهى بس

أشاحت غادة بوجهها في استياء من كلامه ولكنها أعادت النظر إليه بغضب

- أنت عايزنى أصدق كلامك ده؟ ازاى اهلها ما دوروش عليها ومعقولة طلبت منك تتجوزها

- تقصدي أنى خبيتها من أهلها؟ و اتجوزتها غصب عنها؟ ربنا اعلم أنا عملت إيه عشانها

- كلامك ده مالوش غير تفسير واحد غايب عنك.. انك أكيد مكنتش بالنسبة ليها غير طوق نجاة لبنت صغيرة فاقدة الذاكرة متعرفش حد.. وما لهاش في دنيتها غيرك...وعرضها بالجواز منك مكنش غير رد لمعروفك.. اللي هى كانت متصوره انك عملته ليها..وهى ما تعرفش انك السبب الاول في حرمانها من أسرتها.

لم يعلق هشام على كلامها من هول الصدمة. واستمرت غادة في كلامها

- أنا هقولك شئ مهم جدا.. هيريحني ويريحك ويخلصني من الكابوس اللي أنا عايشه فيه... أنا مش حاسة بالأولاد ولا مصدقة إني أمهم.. ولا هما أولادي وضيف على كده كمان.. مستحيل أقبلك كزوج ولا أعيش معاكم تحت أي ظروف.. فهمت

اتسعت عيناه،وبلهجة اقرب إلى الصراخ، أشاح بيديه نحو وجهها

- حساباتك غلط يا غادة هانم.. أنا إن كنت قابل وجودك هنا.. فبصفتك أم الأولاد وبس.. ولكن بالنسبة ليا..أنا مر اني سماح ماتت.. يوم ما فوقتي من فقدان الذاكرة... وبما انك ر افضه أمومتك للأولاد يبقى وجودك هنا غير مرغوب فيه.

كانت غادة ترمقه بصمت وهو يتحدث بغضب شديد ثم أردف قائلا

- لكن تقديرا لظروفك واحتراما انك أم أولادي غصب عنك وعنى والتزاما بوعدي ليكى أنى أرجعك لأهلك هتفضلى هنا ضيفة.. لحين العثور على اهلك ورجوعك ليهم... وبكده يكون اللي بينا انتهى.

- ٦ -

كانت غادة تقف أمام المرآة تضع المساحيق على وجهها، وتمشط شعرها الأسود الناعم كالحرير، وتهندم ملابسها، عندما طرق باب غرفتها، ودخلت شقيقتها الكبرى مروة، وطلبت أن تحادثها في موضوع هام، لكنها رفضت الاستماع إليها، بحجة أنها على عجلة من أمرها، فنظرت إليها مروة بغضب،ونهرتها حينما أخبرتها أنها تستعد للخروج، وعليها أن تؤجل تلك المشاجرة حتى تعود من الخارج، فصرخت في وجهها

- انتي خارجه دلوقتى؟

فردت غادة بعصبية وهي تنظرفي المرآة، وتمسح بأصبع الشفاه على شفتيها

- انتي شايفه ايه؟

جذبتها مروة من ذراعيها، وصرخت في وجهها بغضب

- أنا شايفه انك بقيتى مهملة ومتسيبة في كل حياتك

مطت غادة شفتيها، ولم ترد. ومروه تستكمل تلك المشاجرة، وبدا صوتها في الارتفاع

- ممكن اعرف ليه حضرتك ما دخلتيش الكلية من شهر؟ وبتسهري كل ليله للفجر مع مين؟

كانت غادة تنظرفي المرآة، غيرمهتمة بكلام شقيقتها مروة، وكأنها غيرموجودة او انها تتحدث مع شخص أخر، فاشتطات مروة غضبا، من برود غادة وعدم اهتمامها

- والله العظيم لأقول لماما على حالك الزفت ده يا غادة.

التفتت إليها غادة وهى تضحك بسخرية من كلامها، وحملت حقيبة يدها، و اقتربت من مروة

- لما تبقى تقابلى ماما بالصدفة في البيت... أبقى قوليلها
وضحكت بصوت مرتفع، وهي تلوح لشقيقتها مروة بيدها، و اتجهت نحو الباب وغادرت الغرفة
و فجأة تنبهت غادة على صوت علياء، وهى تخبرها بان القهوة قد بردت، التفتت إليها بابتسامة باهته وهى تسألها
- فين والدك وحمزة مش كانوا قعدين معانا؟
ضحكت علياء
- للدرجة دي كنتي سرحانة.. وما خدتيش بالك إن بابا خرج وراح الشركة.. وحمزة دخل يذاكر

تنهدت غادة ولم ترد، وعلياء في انتظار ردها لكن قطع كلامهما رنين جرس باب الشقة، فهرولت علياء لفتح الباب، فوجدت جارتهم ليلى تلك الصديقة المقربة لوالدتها،استقبلتها علياء بابتسامة وأشارت إليها أن تدخل وأغلقت باب الشقة خلفها، و اتجها سويا حيث تجلس غادة، في غرفة المعيشة أمام التلفاز، وبصوت عال قالت علياء
- طنط ليلى يا ماما جايه تطمن عليكي
فزعت غادة من صوت علياء، ونهضت وهى تنظر إليها بغضب لتصرفها، أقتربت ليلى من غادة وألقت عليها التحية وضمتها لصدرها، وقبلت خديها
- حمد لله على سلامتك.. وبركه انك رجعتى بيتك بالف سلامة يا حاجة
ردت غادة بضيق،من كلمة حاجة، والتي تشعرها أنها سيدة عجوز، قد قاربت على الموت، لكنها رحبت بها، وطلبت منها أن تجلس بجوارها، وأشارت إلى علياء
- شوفى طنط تشرب شاي ولا قهوة
نظرت إليها ليلى باستغراب،

- أنتى نسيتى ولا إيه يا حاجه سماح.. أنا ما بشرب شاي ولا حتى قهوة

ابتلعت غادة ريقها بصعوبة، فردت علياء بسرعة لإنهاء الموقف

- هعمل لحضرتك القرفة باللبن اللي بتحبيها

غادرت علياء الغرفة متجه للمطبخ، وهى تحادث نفسها في شرود، لم تفق منه إلا باصطدامها بحمزة الو اقف على باب المطبخ يحمل كوبا من الشاي،وصوت حمزة يقول لها بضيق

- خدى بالك يا علياء كنتي هتدلقي عليا الشاي

فأفاقت من شرودها، وهى تعتذر فنظر إليها مبتسما،

- سرحانه في إيه يا دكتورة

- في ماما وحالها الغريب... هتصدقنى لو قولتلك أنى حاسة ان الست ده مش ماما سماح

- و أنا كمان... والاهم من كده علاقاتها هى وبابا.. وتصرفاتهم الغريبة مع بعض..كأنهم أغراب.. من بعد رجوعها من المستشفى.. لا هى دخلت غرفته ولا هو دخل غرفتها، حتى كل طلباته انتى اللي بتعملها، او هو بيعملها بنفسه، ده مكانش حالهم قبل الحادثة

- و انت إيه تفسيرك لكده يا حمزة

- معرفش... أنا سالت بابا وقالي لما يجئ الوقت المناسب هتعرف كل شئ

- هتعرف كل شئ؟..... يبقى إحساسنا صح وفيه شئ بينهم

انتقلت ليلى من مكانها، إلى الكنبة الأخرى بجوار غادة، و اقتربت منها وربت على كتفيها بحنان

- مالك يا حاجه سماح مش طبيعتك.. أنتي لسه تعبانه من أثر الحادثة

التفتت إليها غادة مفزوعة و اتسعت عينها، وصل إلى عقلها أن ليلى على علم بحادثة الحافلة

- حادثة إيه اللي بتتكلمى عنها؟

ليلى باستغراب

- لما وقعتى في الحمام

غادة بسرعة ولهفة سالت

- وكانت ازاى طبيعتي قبل الحادثة؟

ابتسمت ليلى

- كنتى ملاك وما زلتى ملاك جرى إيه يا حاجه سماح مالك؟

- أنا تقريبا نسيت حياتي كلها اللي قبل الحادثة.. ممكن تحكيلى عن سماح اللي انتى تعرفيها

ابتسمت ليلى وهى تقول

- يالهوى ده أنا لو أحكى عن الحاجه سماح عايزه ساعات و ايام.

ابتسمت غادة بسخرية

- ياه.. للدرجة دي

ليلى بحماس

- طبعا هو انتى مستقلة بنفسك... ولا ده تواضعك المعروف

تنهدت غادة بحزن وقالت

- طيب احكيلي

- بصى يا ستى انتم ليكم خمس سنين مستقرين هنا في مصروفى العمارة،لكن قبل كده كنتم في السعودية، وبتنزلوا مصر كل سنة شهرين أجازة. بصراحة كنتى هادية وودودة وفاتحة قلبك وبيتك للجميع، ومتدينة وملتزمة وماشاء الله عليكى وعلى تربيتك لاولادك وخوفك عليهم.ولا خدماتك للمسجد اللي في بدروم العمارة وازاى روحك متعلقة بيه. وكل فرض بتصليه في المسجد حتى الفجر، بس من يوم ما رجعتى من المستشفى ميتنزليش مع الباشمهندس

تصلوا.

صدمت غادة، وانقطعت أنفاسها، وزاغت عيناها شرودا، فيما قالته ليلى،ولم تفق من صدمتها إلا حينما دخلت عليهم علياء، تحمل صينية عليها القرفة باللبن، مشروب ليلى المفضل، تنهدت غادة بحزن، وكأن كلام جارتها ليلى، لم يزدها إلا حيرة من شخصية سماح.

-٧-

كانت الساعة تدق السادسة مساء، عندما طرقت غادة باب الفيلا الداخلي، عائدة من الجامعة، فتحت لها الخادمة فأعطتها حقيبة يدها وكتبها لكي تضعهم في غرفتها، وأثناء دخولها لاحظت حركة غريبة بداخل الفيلا، فاتجهت نحو الدادة سميحة، الواقفة بين الخادمات، تشرف على عملهم في تجهيز البيت،وسألتها عن سبب تلك الحركة الغريبة بداخل الفيلا، فردت في استغراب

- النهاردة يوم المقابلة انتي نسيتى ان كل صديقات نجوى هانم هيجتمعوا عندنا

تنهدت غادة، والتفتت لمغادرة المكان، لكن جذب انتباهها، وجود منضدة كبيرة عليها غطاء اخضر اللون، فنظرت إلى الدادة بضيق، وسألتها عن سبب ظهور تلك المنضدة والتي كانت في بدروم الفيلا، فأخبرتها أن نجوى هانم قد أمرتهم أن يخرجوها،فيبدوا أن أصدقاءها سوف يلعبون البوكر، رغم أن جلال بك قد أمر بوضعها في بدروم الفيلا وعدم خروجها مطلقا، فسألتها عن أبيها، فأخبرتها الدادة أن والدها قد سافر البارحة إلى الإمارات، اتسعت عيون غادة من المفاجأة، وغادرت إلى داخل الفيلا، دون ان تعلق بكلمة، صعدت للدور الثاني بالفيلا متجهة إلى غرفة نوم أمها، طرقت الباب لكن لم تجيبها،ففتحت الباب بعصبية فوجدت أمها تجلس أمام المرآة، تمشط شعرها، نظرت إلى غادة بعدم اهتمام، فاقتربت من أمها في تودد

- مامى... أنا عايزه اقولك شئ مهم

فأشاحت بيدها نحو غادة في عدم اهتمام،

- بعدين يا غادة بعدين

- مامى أنا في مشكلة كبيرة

- يعنى مشكلتك دي متنتظرش لبكرة

حاولت غادة ان تكرر طلبها فصرخت في وجهها بعصبية، فنظرت إليها غادة والدموع تكاد تهرع من عيونها، ولم تنطق بكلمة واحدة، والتفتت نحو الباب وغادرت الغرفة في حزن.

أمسكت غادة مقبض باب علياء وأدارته بهدوء، ثم أدخلت رأسها من وراء الباب، وهى مبتسمة

- ممكن أدخل؟

نهضت علياء من على كرسيها خلف مكتبها، وبنفس الابتسامة ردت، على نفس طريقة هشام

- ماأنتى دخلتى خلاص

- ممكن اتكلم معاكى ولا هعطلك عن مذاكراتك

- أنا تحت امرك يا ماما انتى تؤمرى،وكمان أنا خلصت مذاكرة يعنى معاكي

مدت علياء يدها والتقطت أنامل والدتها، ومشيا سويا حتى جلسا على طرف السرير،قبضت غادة جبينها وهى تتأمل وجه علياء، وذلك الشبه الكبير بينهما،نظرت إليها علياء باندهاش

- مالك يا ماما بتبصيلى وكأنك أول مره تشوفينى

- أول مرة أخد بالى من الشبه الكبير اللي بينا

- هو أنا أطول أكون شبه القمر ده

و اقتربت من خد والدتها وطبعت قبلة، ارتسمت علامات التعجب وعدم التصديق على وجه غادة وقالت في سعادة

- ده انتى يا ماما في صور فرحك قمر وملاك في حجابك

فأومأت برأسها، ثم قالت متغلبة على ترددها

- ممكن أشوف الصور دي؟

حملقت علياء في وجه أمها، التي بدت وكأنها لم ترى صورها، وهزت رأسها بالموافقة، ونهضت من مكانها، وغادرت الغرفة نحو غرفة والدها، حيث يحتفظ بالصور في الدولاب، أحضرتهم وهى تحدث نفسها

- معقولة ماما مش فاكره صور فرحها؟

عادت علياء إلى غرفتها مرة أخرى، فوجدت أمها في انتظارها، وأعطتها الصور

- هنا يا ماما حياتنا كلها، بابا كان بيحب يصورنا معاكى في كل مناسبة، لان الصور هى اللي بتخلد الذكريات الجميلة.

ابتسمت غادة بحزن، وأمات رأسها إيجابا، وأخذت تقلب في الصور، وكأنها تشاهد شريط حياتها في فترة لم تعشها، من أول صور زفافها، وصورها في الحرم، ترتدي ملابس الإحرام، وصورها وهى حامل في حمزة وعلياء،صورها مع هشام وأولادها في أماكن مختلفة وأعمار متفاوتة، على مدار خمسة وعشرون عاما، ومشاهد كثيرة أراد هشام أن يسجلها، وكأنه يعلم ما سيحدث، فجهز تلك الصور ليثبت لها صدقه يوم ان تنكر كل ما بينهما، كانت ضربات قلبها تخفق بشدة، وهى تشاهد الصور وتحادث نفسها، من تلك الملاك التي تدعى سماح، وكيف أستطاع هشام ان يروض تلك الشرسة غادة؟

-٨-

كان حمزة يجلس في غرفته يرسم لوحة هندسية، عندما دخلت عليه علياء، وأخبرته ان والدهما يريده بغرفه المكتب،أومأ حمزة برأسه، ونهض بسرعة من خلف مكتبه، متجها لغرفة مكتب والده،طرق الباب وأدخل رأسه مبتسما، فأشار إليه بالدخول، فتقدم حمزة نحوه

- نعم يا بابا حضرتك طلبتني

نظر إليه والده، بابتسامه حانية، طلب منه الجلوس أمامه، سأله عن دراسته، فطمئنه، انه سيحصل على تقدير أعلى من السنة الماضية، فدعا له بالتوفيق، وأعتدل في جلسته، وأسند ظهره على خلفيه المقعد، ومد يده وفتح احد أدراج مكتبه، واخرج مبلغ كبير من المال، ووضعه أمام حمزة، الذي نظر باستغراب، وسأله عن تلك الأموال التي أمامه، فطلب منه أن يعطيها لوالدته، في تردد حاول سؤال والده عن ما يجول بخاطره، عن كل تلك التساؤلات التي يعاني منها و أيضا أخته علياء، ولكنه ترجع واطرق رأسه في الأرض، فأحس هشام بترددده، وفهم ما يريد قوله فبادره قائلا

- متقلقش يا حمزة قريب اوي هتعرف وتفهم كل شئ

مد حمزة يده واخذ النقود، وهم و اقفا مغادرا الغرفة، خرج حمزة من غرفه المكتب و اتجه لغرفة أمه، طرق الباب وأدار المقبض وفتح الباب ودخل، بعد أن أذنت له،وقف أمامها وهى جالسة على طرف سريرها، ابتسم في وجهها وهو يمد يده بالنقود

- أتفضلى يا ماما بابا بعتلك الفلوس دي.

نظرت إليه غادة فشعرت بالحزن،يرتسم على قسمات وجهه، مدت يدها وأمسكت يده، وسحبته منها وأجلسته بجوارها على طرف السرير وسألته

- مالك يا حمزة.. حزين ليه كده؟

نظر إليها، وقد ترقرقت عيونه بالدموع، محاولا إخفائها، بنظره بعيدا عن عيونها

- مفيش يا ماما يمكن إرهاق من المذاكرة.. حضرتك عارفه الامتحانات قربت.. و أنا لازم أحافظ على تفوقي زى ما وعدت بابا

لكن دموعه غلبته، وهطلت على خديه، فمدت يدها ومسحت دموعه، وضمت رأسه لصدرها وأخذت تمسح بيدها على شعره، وتربت على ظهره

- أنا حاسة بيك وعارفه اللي مضايقك،بس هى مجرد أيام وتعرف كل شئ عايز تعرفه

رفع حمزة رأسه عن صدر أمه، وتراجع قليلا إلى الخلف، وهو ينظر إليها بحزن ويسألها عن سبب تغير شخصيتها، وأسلوبها في التعامل مع الجميع، وخصوصا مع والده، وما هى أسباب الجفاء والبعد والخصام بينهما، أطرقت غادة رأسها إلى الأرض، ولم ترد على سؤاله. فتنهد حمزة بخيبة أمل، في أن تريح أمه قلبه بإجابة، تريح قلبه وعقله، وتهدي من تلك الثورة التي اجتاحت البيت، فانحنى وطبع قبلة على يدها، ورفع رأسه ونظر إليها

- صدقينى يا ماما مش هتلاقى حد يسمعك ويحس بيكى قدي... ووقت ما تحبي تتكلمى أنا صديقك القديم ولا نسيتي

ونهض من جلسته واستأذن منها، وغادر الغرفة، بمجرد ان خرج حمزة من الغرفة، سحبت غادة نفسا عميقا لصدرها، وهى تحادث نفسها، ودموعها تغرق خديها كشلال.

- أنا فعلا ناسيه كل شئ يا حمزة.... والله أنا ما ليش ذنب في كل ده..أبوك السبب اللي عمله فيا من خمسة وعشرين سنة.

دارت غادة في أرجاء الغرفة،شعرت بالقلق والحيرة، خرجت من غرفتها نحو الصالة، فمرت على غرفة علياء، فسمعت صوتا خافتا لحديث يدور بين علياء وحمزة، فدفعها فضولها لمعرفة الحوار، فوقفت خلف باب الغرفة، وبدون ان يشعرا بها، كان حمزة يتحدث بعصبية.

- إيه الكلام اللي بتقوليه ده يا علياء

- أنا بقولك اللي أنا حاسة بيه

- طيب فهميني الإحساس ده جالك منين؟

- من اسلوبها في التعامل معانا ومع بابا

- أنتى مالكيش دخل في اسلوبها مع بابا...خليكى في اسلوبها معانا

- يعنى إيه ماليش دخل بينها وبين بابا

- هو بابا اشتكالك؟

- وهو فين بابا يا حمزة؟ من يوم الست دي ما دخلت بيتنا.. وحال بابا أتقلب، ديما حزين ومهموم وسارح في دنيا تانيه.. وده بسبب كلامها الجاف البارد معاه..وبسببها بابا تقريبا بيهرب من البيت وده أكيد علشان يتلاش الصدام معها

- عندك حق يا علياء.. فعلا بابا مبقاش يقعد في البيت كتير، بس أنا ليا وجهه نظر تانيه.

- بس غير أنك تقول ان الست دي ماما سماح

- بس الست ده فعلا ماما يا علياء

- حمزة انت متناقض ليه؟

- ماما هى ماما يا علياء بس أنا حاسس انها بتمر بأزمة وكأنها منومة، او شئ داخلى بيحركها، اوقات بشوفها شابة مرحة في سنك وسنى، وأحيانا بشوفها ست عجوز اكبر كمان من سنها وشايلة هم كبير ميعرفوش غيرها.

- طيب يلا قوم من هنا وروح على اوضك يا حمزة بلا هبل

- شكلك كلامى مش عجبك صح

هم و اقفا ومتجها نحو الباب، ولكنه التفت مره أخرى لعلياء قائلا

- صدقينى ماما هى ماما بس ظروفها ونفسيتها متلخبطة.

تراجعت غادة بسرعة، وعادت إلى غرفتها، قبل أن يكتشف حمزة أنها كانت تقف خلف الباب وسمعت كل حوارهما، ودخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها بهدوء، وأطفأت ضوء الغرفة، وألقت بجسدها على سريرها، تشارك وسادتها أفكارها.

- ٩ -

حول مائدة الغداء، جلس جميع أفراد الأسرة، يسود الصمت بينهم،الأمن تلك النظرات الصامتة لبعض البعض، وكان بداخل كلا منهم، بركانا من التساؤلات يريد أن يفجره في وجه الآخر.قطعت غادة حاجز الصمت، وقالت وهي توجه كلامها لزوجها هشام

- عايزه اخرج اغير جو واعمل شوبينج

التفت هشام لعلياء مبتسما

- خدى والدتك تغير جو وتعمل الشوبينج اللي هى عايزه

زمت علياء شفتيها بضيق، وأومأت بالموافقة، انتهى الجميع من تناول الطعام، وانصرف كلا منهم إلى وجهته، حيث عاد هشام لشركته، وحمزة لغرفته لينام قليلا، استعدادا للمذاكرة والسهر، أما غادة وعلياء فكانا يستعدان للخروج من اجل التسوق.

بدأت غادة في رحلة التعرف على هذا العالم، الذي غادرته من خمس وعشرين عام، وكأنها طفلة صغيرة، خرجت إلى الدنيا، لتتعرف على هذا العالم الخارجي، بمنتهى البراءة، تنظر يمينا ويسارا، تفتش عن أي شيء، قد رأته من قبل، يذكرها بتلك الفترة الضائعة من عمرها، ولكن دون جدوى، كل الأشياء قد تغيرت، شكل السيارات والبنايات والملابس، الشوارع أصبحت أكثر ازدحاما وضجيجا، البشر صاروا مشغولون طوال الوقت بهواتفهم النقالة، المحلات التجارية صارت أكثر اتساعا ونظافة،والملابس صارت أكثر أناقة، شد انتباه علياء شيئا جديدا على أمها، أنها تقرأ ما كتب على منتجات البرفان وأدوات التجميل بإتقان شديد، وخصوصا الايطالي منها.فنظرت لوالدتها بتعجب شديد، من تلك الشخصية الجديدة

- انتي شاطرة اوى في اللغات يا ماما

- انت بتكلم وبكتب ثلاث لغات بطلاقة

عقدت علياء حاجبيها

- من امتى ده بقه يا ست ماما؟

ارتبكت غادة من سؤال علياء، فأخذت نفسا عميقا في محاولة لتدارك الموقف، والهروب من الحوار بتغير مساره، فنظرت بعيونها في كل اتجاه،وفجأة أشارت بيدها نحو محل للأيس كريم

- نفسى في أيس كريم

ومدت يدها وأمسكت أنامل علياء، وسحبتها نحو محل الآيس كريم.

كانت علياء تقف مع والدتها في محل الآيس كريم، في حيرة من أمرها، وفاجأه نظرت علياء في ساعة يدها، و اتسعت عينها وهى تخبر أمها، أن الوقت قد تأخر، وهما مازالا خارج البيت، وان هذا التأخير سيغضب والدها كثيرا، ابتسمت غادة وهى تربت على كتفها

- خلاص يلا نروح ومتزعليش نفسك ولا والدك

أوقفت علياء سيارة أجرة (تاكسي)، واستقلاه، وفي سرعة فائقة، وصل (التاكسي) بهما إلى باب العمارة،نزلت غادة وعلياء وقفت بجوار باب السائق لتعطيه الأجرة، ثم اتجه الاثنان لباب العمارة صعدا درجتين من السلم، تفاجأت علياء، بجارتهم سوزى و ابنتها شاهيناز يقفان أمام باب المصعد، جزت علياء على أسنانها، وأشاحت بوجهها وهى تتمتم

- يادي الصدف السعيدة

نظرت إليها غادة بتعجب

- في إيه مالك يا علياء

قبضت علياء جبينها في اندهاش

- حضرتك مش شايفه مين و اقفين عند باب الاسانسير

- مين هما دول؟ وليه مضايقه منهم قوى كده؟

وفى نفس اللحظة، التفتت سوزى عن يمينها، فشاهدت غادة وعلياء، فاتجهت نحوهما بخطواتها المتر اقصة، وهى تبتسم حتى وقفت أمام غادة

- حمد لله على سلامتك يا حاجه سماح

سحبت غادة نفسا عميقا، فكلمة الحاجة سماح، تشعرها بالضيق، فهي تنكر كل تلك الادعاءات، لكنها قالت بضيق

- الله يسلمك يا مدام

نادت شاهينازعلى والدتها سوزى، لتخبرها بوصول المصعد،ابتسمت سوزى لغادة وهى تدعوها ليستقلوا المصعد سويا،حملقت علياء في صدمة وعدم تصديق، عندما سارت أمها مع سوزى كتفا بكتف، فسارت خلفهم دون أن تنطق بكلمة، أما سوزي، فكانت تنظر لغادة بسعادة وعدم تصديق، ان الحاجة سماح تسير معها دون أن تلقي عليها محاضرة في الالتزام والأخلاق، ولا تعنفها بسبب الضوضاء التي تصدر من شقتها كل ليلة، وما أن ركب الأربعة المصعد، حتى تشجعت سوزى وطلبت من الحاجة سماح، أن تشرف شقتها بالزيارة وتتناول معها فنجان من القهوة،وبسرعة وبدون تفكير،أومأت غادة برأسها، لتستجيب لدعوة سوزى، أشاحت علياء بوجهها في استياء وغضب من تصرف أمها غير المتوقع،وقف المصعد في الدور الخامس، حيث توجد شقة سوزى، فتحت شاهي باب المصعد وخرجت، وخرجت خلفها أمها وهى تقول

- اتفضلي يا حاجة سماح و انتي كمان يا علياء

نظرت إليها علياء بضيق

- أسفه يا طنط ما قولناش لبابا وكده هيقلق علينا

ولكن غادة لم تهتم بكلام علياء، والتفتت إليها وأعطتها ما بيدها من حقائب ورقية، وقالت وهي تغادر المصعد، وتترك علياء في حيرتها

- قولى لوالدك انى هشرب القهوة مع طنط سوزى وهطلع بسرعة.

اتسعت عيون علياء وهى تنظر لامها، وهي تسيرخلف سوزى كالمنومة، وقالت وهى تخفى انفعالها وصدمتها مما تشاهد

- حاضر يا ماما

أغلقت باب المصعد وصعد بها للدور السادس حيث شقتهم،خرجت علياء من المصعد، ووقفت على باب شقتهم في حيرة، لا تدري ماذا ستفعل في هذا المأزق، وكيف ستخبروالدها، بان والدتها ذهبت مع سوزى لشقتها،استعاذت بالله، وأولجت المفتاح في ثقب الباب ببطء، حتى لا يصدر صوتا عند فتحه، فيتنبه والدها لحضورها،فدخلت على أطراف أصابعها، وأخذت تتلفت يمينا ويسار، فلم تجد أحدا فدخلت غرفتها مسرعة، ألقت بالحقائب الورقية على سريرها، بدلت ملابسها على عجل، وجلست على المكتب، ترتب لمحاضرات الغد، ومر الوقت سريعا، فلم تشعر به، لكنها تنبهت لطرقات خفيفة على باب غرفتها، فأذنت لمن بالخارج بالدخول، فإذا هو والدها القى عليها التحية، فنهضت وتقدمت نحوه وطبعت قبلة على جبينه، فتقدم نحوها وهو يتطلع لسريرها وما عليه من حقائب ورقية، ما زالت ملقاة على السرير، فسألها

- رجعتوا امتى من الشوبينج

اتسعت عينها، وهى تضرب بكفيها على رأسها، وكأنها تذكرت شيئا هاما

- ماما لسه مرجعتش من زيارة طنط سوزى

لم يكن حالها أفضل من حال والدها، عندما سمع ما قالت، فاتسعت عيناه وهو يسألها

- انتى بتقولى إيه؟ وازاى حصل ده؟

كانت علياء ترتجف خوفا، وهى تسرد لوالدها ما حدث عند باب المصعد، وأنها حاولت منع أمها من قبول دعوة سوزى، ولكنها لم تهتم لتحذيرها، وذهبت إلى شقتها لتناول فنجان قهوة في غضون نصف ساعة، ولكن الزيارة استمرت لأكثر من ثلاث ساعات، فخرج هشام مسرعا مغادرا الشقة ومتجها لشقة سوزى، طرق الباب بقوة، وما ان فتحت سوزى الباب، وهى تبتسم سعيدة بهشام الذي وقف يتفحص الشقة بعيونه، وما افقده عقله عندما شاهد غادة تجلس مكشوفة الرأس يظهر شعرها الأسود الناعم على مائدة القمار الخضراء، وفى فمها السيجارة، وبيدها كأس الخمر وباليد الأخرى ورق الكوتشينة، لم يشعر بنفسه إلا وهو يقتحم الشقة، دون أن ينتظر سوزى لتسمح له بالدخول، تقدم بقوة نحو غادة، التي ما أن رأته حتى ألقت ما في فمها ويدها، ووقفت كتمثال من الصخر، اقترب منها وسحب الوشاح من على كتفها، ووضعه على رأسها دون ان ينطق بكلمة، مد يده والتقط كفها، وسحبها خلفه بهدوء، ولكنها تحجرت في مكانها رافضة مغادرة المكان، فجذبها بقوة وكأنه يقلع شجرة ورد من مستنقع عفن، سحبها خلفه وهى تصرخ

- ايدى هتتكسر سيبنى انت مالك بيا

ولكن هشام لم يعط لكلامها وصراخها إي اهتمام، وظل في طريقه لمغادرة تلك الشقة الملعونة وكانها فتاة مراهقة، يسحبها والدها من ملهى ليلي،وصعد بها السلم بسرعة، وكأنه يهرب بها من عيون الناس، حتى وصل إلى باب الشقة، وطرقه بشدة وعنف، افزع حمزة الذي أسرع بفتحه، وما أن فتح الباب، حتى دفع هشام غادة بقوه للداخل، وهو يصرخ في وجهها

- إيه اللي انتى عملتيه ده؟

نهرته غادة، وهى تصرخ بعصبية، وتطالبه بعدم التدخل في حياتها من جديد، فكفى ما فعله في الماضي، أضاع من شبابها سنوات طويلة، يجب أن تعوضها.

- و انت مالك بيا..مش مكفيك اللي عملته فيا زمان

وقف هشام زائغ العينين، حائر بين غادة وأولاده،فتقدم حمزة نحو أمه متسائلا

- في إيه يا ماما؟

فصرخت غادة في وجهه، وأشاحت بيديها نحو الجميع، في محاولة لإنهاء تلك المهزلة،

- أنا مش ماما ولا اعرفكم

تراجع حمزة للخلف بجوار علياء، و اتسعت عيونهما، فتقدمت غادة وهى تنظر لهما، وتشير بيدها نحو هشام الو اقف في حالة من الذهول، يفتش عن رد ينهي به كل شيء

- أسالوه عن الجريمة اللي ارتكبها في حقي من خمسة وعشرين سنة وضيع حياتي وعمري وحرمني من أهلي وأسرتي

التفت حمزة وعلياء نحو والدهما، ينظران إليه بتعجب، يريدان تفسير لكلام والدتهما، ولكن هشام نظر لغادة بغضب

- اسكتي.. أرجوك اسكتي

ولكن غادة كانت ثائرة كالبركان

- خلاص أنا زهقت من التمثلية المملة دي.. وعايزة اهرب من سجنك أنت وأولادك، قولهم الحقيقة خلينا نخلص

- اسكتي.. بقولك اسكتي

اقتربت غادة من هشام، وهى تنظر له بحنق

- أنا بكرهك يا كذاب يا مخادع

كانت كلماتها كالرصاص في قلب هشام،أفقدته صبره، فرفع يده وصفعها على وجهها، فسقطت على الأرض، فهرول نحوها حمزة، بينما شلت المفاجأة

علياء، فظلت في مكانها،وهشام يصرخ في حمزة، ان يبتعد عنها، فتراجع حمزة، و اقترب منها هشام، ونزل على ركبتيه بجوارها، واخد يحدثها بصوت خفيض، وهي تبكي بحسرة،

- على فكره، أنا عرفت عنك كل شئ، من تانى يوم ما فوقتى في المستشفى، حتى اهلك وعنوان اهلك، بس قولت اديكي فرصة، تعيشي في بيئة نضيفه، تلبسي ثوب ست، كانت مثال للأخلاق والالتزام، ولكنى اكتشفت ان حياه سماح وتاريخها المشرف، خسارة في إنسانة مستهترة وعديمة الاخلاق زيك، انت لازم تكملى حياتك في البيئة القذرة اللي طلعتى منها.

نهض هشام، وهو يتطلع على عيونها الغارقة في دموعها، شعر بالندم يطل من ملامحها

- جهزى شنطك يا هانم.. الصبح هينفك اسرك وتخرجى من سجنى

التفت هشام لأولاده، وفتح ذراعيه إليهم، فهرولوا لحضنه فأخذهم تحت جناحيه، و اتجه بهما لغرفته وتركوها وحيده ملقاة على الأرض،ونظر لأولاده قائلا

- حاسس بيكم وعارف كل الاسئلة اللي بدور في عقولكم...بس أنا دلوقتى مش قادر أتكلم

تركهم وألقى بجسده على السرير، هرولت علياء نحوه في ذعر،وأخذت تتفحصه، وهرولت لغرفتها وأحضرت جهاز قياس الضغط، لفته حول ذراعه، بعد أن شمرته، وشرعت في الضغط بيدها على البلونة الصغيرة، ثم قرأت قياس الضغط

- بابا حضرتك ضغطك منخفض جدا لازم تروح المستشفى

ابتسم هشام وهو ينظر لعلياء بحب

- متقلقشيش يا دكتورة بابا لسه شباب وبصحته

ونهض من مرقده لخلع البذلة، وارتدى بيجامة النوم، هرولت علياء لتساعده، وعاد مرة أخرى للنوم في سريره، وهو يكلم أولاده بنبرة صوت متعبة ومجهدة، ورغم ذلك حاول إظهار القوة والتماسك أمام أولاده مداعبا لهم

- يلا يا حبايبي على اوضكم.. وسيبونى انام و انتوا كمان ناموا

رد الاثنان

- حاضر يا بابا

وتوجها نحو باب الغرفة امسك حمزة برسغ غادة و اقترب من اذنها هامسا

- هى لسه قعده على الأرض في الصالة

فردت علياء بنفس الصوت المنخفض حتى لا يسمعهم والدهم

- لا قامت ودخلت غرفتها.. جريمة إيه اللي اتكلمت عنها

ولكن حمزة نهرها، وأمرها بالخروج من الغرفة حتى لا يسمعهم والدهم ويزيدوا من تعبه، خرج الاثنان من غرفة والدهما وأغلقا الباب خلفهما و اتجه كلا منهما اللي غرفته.

- ١٠ -

في الصباح استيقظ جميع أفراد الأسرة ولكن ليس كالعادة،فلم يذهب حمزة وعلياء إلى الجامعة ولم يستعد هشام للذهاب لعمله، كانت غادة تجلس في الصالة وحيدة بجوارها حقيبة يدها فقط، خرج هشام من غرفته وألقى التحية عليها ردت غادة التحية بخجل، نادى هشام على حمزة وعلياء اللذان هرولا ملبين النداء، بعد ان القوا تحية الصباح على من في الصالة تقدم حمزة نحو غادة وقبل رأسها وهو يقول

- صباح الخير يا.....

ولكنه امسك لسانه ولم يقل يا ماما. و اتجهت عليا نحو والدها

- نعم يا بابا

- حضرى الفطار و انا هادخل غرفة المكتب اعمل تليفون

أومأت علياء برأسها بالمو افقة و اتجهت للمطبخ، بينما جلس حمزة بجوار غادة، وعم الصمت بينهم الأمن نظرات حمزة لوجهها، وكأنه يشبع عيناه من ملامحها قبل الفراق، وكانت غادة شاردة في ذلك المجهول الذاهبة إليه، وفى أذانها تتردد كلمات هشام التي ألقاها عليها بالأمس والتي بسببها جاف النوم جفونها طوال الليل... أنتى لازم تكملى حياتك في البيئة القذرة اللي طلعتى منها.... تنبهت غادة لوجود حمزة بجوارها فالتفتت إليه، فلاحظت تأمله في ملامحها فترقرقت عيونها بالدموع وهى تقول

- صدقنى أنا مظلومة

نظر اليها حمزة والألم والحزن يعصران قلبه

- لما اسمع الحكاية من أولها.. واعرف إيه سبب تغير الأحوال بينكم... وتغيرك انتي شخصيا للشكل السيئ ده، وقتها هقدر احكم بينكم واعرف الظالم

والمظلوم.

خرجت علياء من المطبخ، ودعت الجميع للجلوس على مائدة الإفطار، خرج هشام من عرفة المكتب متجها للمائدة دون أن ينظر في اتجاه جلوس غادة وحمزة، وجلس على المائدة ليتناول إفطاره.ربت حمزة على كتف غادة بحنو وقال

- قومى علشان تفطرى

أومأت غادة رأسها بالرفض

- لا مش جعانة

أمسك حمزة يدها، وسحبها حتى نهضت من مكانها، وهو يقول لها

- مش هقولك علشان خاطرى.لكن هقولك.. لا أنتى ولاحد فينا اتعشى امبارح..يبقى لازم نفطر، واعتبريه فطور الوداع

مشت معه على خجل، حتى وصلت الى المائدة، وجلس الجميع يأكلون في صمت، لم تتناول غادة الا لقيمات قليلة، ثم تراجعت للخلف، تنبه هشام لحالها،فنهض من على الكرسي محدثا أولاده

- أنا وغادة هانم هنخرج دلوقتي ولما هرجع..هيكون ليا معكم حديث طويل وهتعرفوا كل شئ

وغادر المكان متجها لباب الشقة في انتظار غادة، اتسعت عينا حمزة وعلياء وهما ينظران لغادة وقد ترقرقت عيونهم بالدموع، غير مصدقين برحيل امهما عن البيت.

نهضت غادة من جلستها، وهى مطرقة رأسها أرضا ولم تستطيع النظر لعلياء وحمزة، و اتجهت نحو الباب، حيث ينتظرها هشام،الذي نظر إليها وقال متسائلا

- فين شنطك وحاجاتك

نظرت اليه غادة بتحد وقوة

- كل الحاجات اللي هنا خاصة بسماح و انا مبخدش حاجات مش ملكي

قالت علياء الو اقفة خلفها

- أمال انتى مين؟

التفتت غادة نحوها وأخذت نفسا عميقا، وضغطت بأسنانها على شفتيها، وأطرقت رأسها أرضا وركضت نحو الباب.خرجت وخلفها هشام من الشقة نحو المصعد.

- ١١ -

فتح هشام باب المصعد وأشار إليها بالتقدم أمامه، وهبط المصعد بهما للدور الأرضي، غادرا المصعد متجهين للسيارة التي فتحها هشام عن بعد، وعندما اقتربا منها، مدت غادة يدها على مقبض الباب الأمامي، وفتحته وجلست وركض هشام للجانب الآخر بجوارها، و اتخذ مجلسه على عجله القيادة، وساربهما متجها لبيت أهل غادة، كان الصمت هو سيد الموقف، حتى التفتت غادة لهشام وقالت

- طبعا فرحان لرحيلي؟

تنهد هشام بحزن

- طبعا فرحان إنى قدرت أنفذ وعدي ليكى وأرجعك لأهلك ومكنش كذاب ومخادع.

- وترتاح منى ومن مشاكلي.. من يوم ماعرفتنى و انت في مشاكل

أوقف هشام السيارة على جانب الطريق والتفت إليها وقال

- أنتي فعلا إنسانة عنيدة ور افضة للإصلاح

نظرت اليه غادة في غضب، والشرر يتطاير من عينيها، لكن هشام تجاهل نظراتها و اكمل

- رفضتى بيتك وولادك..حتى محاولتيش تس إلى عن حياتك في خمسة وعشرين سنه فاتوا كان شكلها ازاى؟

ردت غادة بغضب

- و انت مسالتش نفسك أنا ليه عنيدة معاك.. ور افضه بيتك وولادك.. ورفضاك إنت شخصيا

إبتسم هشام بسخرية

- إنتى كده من الأول.. طول عمرك عنيدة.. حتى مع اهلك.. مش معايا أنا بس ضيقت غادة عيناها بعصبية وقالت

- انت تعرف عنى إيه من الاول؟

- بنت دلوعة.. مغرورة بجمالها وبعائلتها العريقة الغنية، ومبتعرفش في حياتها غير السهر وصالات الديسكو والرقص والشرب ولعب القمار

أطرقت غادة رأسها خجلا، فأردف هشام

- وفى شقه سوزي لقيتى ماضيكي..جريتى على تربيزة القمار والكأس والسيجارة ونسيتي أولادك وسمعتك وسمعتي في العمارة

عاودت غادة النظر إليه، مقاطعه كلامه

- رفضي ليك.. كان رد فعل.. لرفضك ليا من الأول

سوى هشام لحيته بيده وتنهد، فأردفت غادة كلامها بصوت مختلط بدموع وعند وكبرياء

- أيوه أنت السبب.. اللي خليتني ارجع للماضي... من وقت ما رجعتلي الذاكرة في المستشفى و انت مصر تلبسنى شخصية سماح.. و أنت عارف كويس اني مش سماح.. الشخصية اللي أنت صنعتها بايدك.. أنا كنت بقولك من خلال عنادي ورفضى لطاعتك ,انا غادة.. إحتوينى وحسسنى بحنانك زى سماح وعلياء وحمزه... لكن انت ما فهمتنيش ولا حسيت بيا... كان كل تفكيرك في سماح... رغم انك متأكد انها ماتت.. أنا حاولت كتير اقرب منك.. ولكن انت بنيت بينى وبينك سور ع إلى... له باب واحد.. ممنوع ادخله.. الا و انا سماح

نظر إليها هشام بألم

- غادة أنا.....

أشارت إليه بيدها وقاطعت كلامه والدموع تهرع من عيونها

- أسكت مش عايزه أسمع منك حاجة.. أنا سمعت كتير.. و اتجرحت أكتر في

بيتك

وطلبت منه ان يكمل الطريق، حتى تصل إلى بيت أهلها، أملا في أن تجد من يشفي جراحها،أدار هشام السيارة، وأكمل الطريق، حتى وصل إلى منطقة مصر الجديدة، وبالتحديد أرض الجولف،أوقف السيارة على جانب الطريق، أمام فيلا صغيرة، ونظر إلى غادة

- دي فيلا والدك جلال بك بركات

زاغت نظراتها بين وجه هشام وباب الفيلا الخارجي، فحاول هشام أن يطمئنها ويهدى من توترها، بعد أن لاحظ سرعة نبضات قلبها، بارتفاع صدرها وانخفاضه بقوة، فأبتسم اليها قائلا

- يلا انزلي..علشان أسلمك لاهلك.. وأحقق وعدى ليكي بعد خمسة وعشرين سنة

لكن غادة لم تستطيع الكلام، والتفتت نحو الباب وفتحته بقوة، ونزلت من السيارة، نظر إليها هشام ثم نزل من السيارة أيضا،ومشيا خطوات قليلة إلى باب الفيلا، في صمت الأمن نظراتهما لبعضهما البعض، وكأن كليهما يرفض الوداع، ولكن كبريائه يمنعه من الإفصاح عن مكنون قلبه. طرق هشام البوابة، ففتح له رجل الأمن، الجالس خلف البوابة من الداخل، وسأله

- عايز مين حضرتك؟

- دي فيلا جلال بك بركات

- ايوه يا فندم

- ممكن اقابل نجوى هانم حرمه

نظرت إليه غادة باستغراب، فأشار هشام إليها أن تهدأ، ومد يده في جيبه، وأخرج الكارت الخاص به، وقدمه لرجل الامن وقال له

- ياريت يديها الكارت ده..

اخذ الحارس الكارت، و اتجه نحو الداخل، وتركهم في الخارج فقالت غادة بعصبية وتوتر

- ليه مطلبتش مقابله بابا

- أنتظرى لما ندخل ومتستعجليش

عاد الحارس، وسمح لهما بالدخول لمقابلة نجوى هانم، فدخل هشام ومن خلفه غادة، ومشيا في ممر طويل قليلا، ومع كل خطوة لغادة نحو الباب الداخلي، كانت تزيد ضربات قلبها، شعر هشام بخوفها وقلقها، فمد يده محاولا الإمساك بكفها، ولكنها سحبت يدها رافضة، في أخر الممر صعدا ثلاث درجات، ليجدا الخادمة في انتظارهم على الباب الداخلي، ألقى هشام التحية فأذنت لهم بالدخول وقالت في وقار

- نجوى هانم في انتظاركم حسب الموعد

سمح هشام لغادة بالدخول أمامه، ومشيا خلف الخادمة، داخل الفيلا الواسعة الفخمة التي تدل على ثراء مالكها، حتى وصلا لاحدى الصالونات، كانت تنتظرهم سيدة عجوز، ولكن رغم تقدم عمرها، الا ان جمالها كان واضح، ومظهرها يوحى بقوة شخصيتها، رغم أنها حبيسة ذلك المقعد المتحرك، ترقرقت عيون غادة بالدموع، وهى تتمتم بصوت منخفض عند رؤيتها للهانم

- حبيبتى يا ماما

تقدم هشام نحو نجوى هانم، وألقى عليها التحية، فردت عليه التحية ومدت يدها بالسلام والترحيب، فمد هشام يده وصافحها، و انحنى على يدها وقبلها احتراما،أما غادة فقد تجمدت مفاصلها من هول المفاجأة، ولم تستطيع التقدم نحو والدتها،ولكنها ابتسمت إليها، والى الدادة سميحة الواقفة بجوارها، ابتسامة حزينة، وهزت لهما رأسها بالتحية، فأشارت نجوى بيدها

لهما وأذنت لهما بالجلوس. جلس هشام وغادة وهما ينظران للسيدة نجوى بوجل وخجل،ابتسمت لهما نجوى وقالت بقلق

- حضرتك يا باشمهندس قولتلي في الفون أنك طالب مقابلتي بخصوص موضوع خاص ومهم جدا... ممكن اعرف إيه هو؟

بهدوء وبابتسامة جميلة رد هشام

- طبعا بس ممكن استاذنك تتحملينى في طول حديثى وتلتمسى ليا العذر

- إتفضل خد راحتك

- أنا من خمسة وعشرين سنة عثرت على أمانة غالية في ظروف صعبة، وشيء الهى شدنى إليها فاخدتها وحافظت عليها، وفضلت ست شهور أدور على أصحابها.. ولكن كل محاولاتى فشلت في العثور عليهم، ولظروف شغلي سافرت السعودية، وكان من المستحيل أسيبها لوحدها هنا أو أمن حد عليها، فاخدتها معايا،ومرت السنين.. ونسيت موضوع البحث عن أصحابها وقولت خلاص بتعتى وبقت كل حياتى هى واللي جانى منها، ولكن يشاء القدر ومن شهرونص بس اعرف انها ملك لجلال بيه بركات وتنفيذا لقسمى انى أرجعها لأصاحبها وقت ما اعرفهم بحثت عن عنوانه ووجدته بسهوله لانه شخصية معروفة الله يرحمه.

جحظت عيون غادة عند سماعها خبر وفاة والدها، وترقرقت عيونها بالدموع،وهشام مستمر في حديثه بحماس شديد

- ولكن لما عرفت ان حضرتك موجودة قولت لازم أرد لك الأمانة.

كانت نجوى تسمع هشام بإذنها ولكن قلبها وعيناها معلقتان بتلك المرأة الجميلة الجالسة بجواره، ونظرت لهشام مبتسمة وقطعت حديثه بسؤالها وهي تشير إلى غادة

- حضرتها المدام

رد عليها هشام بنفس الابتسامة وكأنه عرف ما يدور بخلدها وأحس ما بقلبها وأشار اللي غادة

- دي الأمانة اللي جاي ارجعها.. غادة جلال بركات بنت حضرتك

تدلى فم نجوى، و انقطعت أنفاسها، وزاغت عينها، وفقدت وعيها، فصرخت غادة وهي تنهض من مكانها وترتمي تحت أقدامها، وتنادي عليها في ذعر، فالتف حولها هشام والداده سميحة في محاولة لإفاقتها، حدث ضجة خفيفة أنقلب فيه حال البيت، حتى استردت نجوى وعيها وأخذت تبكي وهى تحضن غادة بقوة وتسأل بحيرة شديدة،

- أمال جثه مين اللي استلمناها؟

ابتعدت غادة عن حضن أمها، ونظرت لها في ذهول

- يعنى أنا كنت بالنسبة لكم ميتة؟

شرعت نجوى تروي ما حدث وهي تبكى

- يوم الحادثة..راحلك السواق محطة الأتوبيس زى ما طلبتى.. و أنتظرك كتير.. لحد ما عرفنا في المحطة.. أن الأتوبيس عمل حادثة كبيرة.. واغلب ركابه ماتوا.. رجع السواق البيت و قالنا الخبر المشئوم ده، والدك أخدني وجرينا على مكان الحادثة.. بس كانوا نقلوا جميع المصابين والمتوفين للمستشفيات.. وبالبحث والسؤال قالوا أن المواصفات دي تنطبق على جثة في المشرحة.. كانت الجثة وشها وجسمها مشوهين.. وقالوا لوالدك ان السلسلة دي كانت في رقبتها ودي اللي أكدت لينا ان الجثة لبنتنا.. لان السلسلة دي في رقبتك و انتى عندك اتناشر سنة

شخصت غادة ببصرها في ملامح والدتها، التي كانت تبكي بحسرة، وهي تسترجع ذكريات ذلك اليوم المشئوم، الذي فقدت فيه فلذة كبدها.. فقالت

غادة في ربط الأحداث وتوضيح ما حدث

- دي عائشة البنت اللي كانت قعده جنبي في الأتوبيس

قالت الام والدموع تنهمر من عيونها

- أنتي كنتي فين الفترة دي كلها؟

صمتت غادة وهى تنظر لهشام، فأجابها هشام

- أنا هحكى لحضرتك اللي حصل يوم الحادثة.. واللي ما تعرفوش غادة هانم.. لأنها فقدت الذاكرةبسبب الحادثة.. ونست الماضي كله بما فيه...

مروقت طويل، وهشام يقص عليهم ما حدث لغادة وحياتها على مدار خمسة وعشرون سنة،تدلى فك غادة و انقطعت أنفاسها وزاغت عيناها شرود، فيما رواه هشام عن سماح، وكيف وصفها بالملاك في أخلاقها والتزامها الديني وحبها لزوجها وأولادها، ونبرات صوته الدالة على مدى حبه وعشقه لها،أما هشام فكان صوته مختنق بالدموع، وهو يحكي لهم قصة حياته مع حبيبة قلبه وحبه الاول والأخير، كأنه ماضى رحل بلا عودة، أما نجوى فكانت تستمع إليه ودموعها تنهمر على خديها كأنها امطار شتوية شديدة، تنهد هشام بحزن، وخلع نظارته الطبية، ومسح عينيه،وساوى لحيته بيده، وارتدى نظارته مرة أخرى، محاولا ان يجمع قوته لوضع كلمه النهاية.

- أنا كده عملت اللي عليا وقدرت بفضل الله أحافظ على بنتكم طول الفترة اللي عاشتها معايا و انا دلوقتى برجع الأمانة لأصحابها

والتفت هشام نحو غادة، قالت وعلامات التأثر ترتسم على وجهه

- يارب أكون قدرت اغير فكرتك عني

ونهض و اقفا موجه كلامه لنجوى هانم

- سعيد جدا بمقابلة حضرتك،وكنت أتمنى أقابلك في ظروف أفضل بالنسبة ليا، أما بالنسبة لحضرتك فهي أكيد ظروف سعيدة.

تقدم نحوها، ومد يده مصافحا يدها، التي يبدو عليها علامات الضعف والوهن، وانحنى وقبل يدها مودعا، والتفت متجها نحو الباب، وغادة تتابعه، لتودعه بنظراتها الحائرة، من ذلك الفارس الذي غيروجه حياتها، لكنها لا تدري هل تغيرللأفضل أم للأسوأ، وقف الاثنان أمام الباب نظرإليها هشام بحزن وكأنه يشبع عينيه من ملامح وجهها الجميل

- كده اللي بينا خلص.. وعلشان تقدرى تعيشى حياتك براحتك.. وبالشكل اللي انتي شايفاه مناسب ليكى عندى كلمة هقولها وبعدها هتكونى حره أنتى.....

نظرت اليه غادة بذهول، وبسرعة رفعت يدها ووضعت أصابعها على شفتيه، لتمنعه من أستكمال جمله الطلاق وقالت متوسلة..

- سيبنى أخد قراري بنفسي

أبتسم هشام بحزن، وأومأ رأسه بالمو افقة،اقترب منها خطوة وجذب رأسها نحوه بيده، وطبع قبلة حانية على جبينها، والتفت نحو الباب مغادر الفيلا. اتجه نحو سيارته، و اتخذ مجلسه أمام عجلة القيادة عائدا لأولاده، ولكنه لم يستطيع استكمال الطريق، فأوقف السيارة على جانب الطريق، وكأن عقله قد توقف عن التفكير، ظل جالسا فترة طويلة في سيارته، يرتب أفكاره ويعد نفسه لمواجهة أولاده،أدار السيارة و أكمل الرحلة إلى البيت.

- ١٢ -

ما أن دخل هشام الشقة حتى تفاجئ بأبنائه، مازالوا على حالتهم التي تركهم عليها، منذ أن غادر البيت بغادة وعاد من دونها، اقترب منهما وألقى التحية عليهما،نهضا حمزة وعلياء وهرولا إلى حضن والدهم، وهما يردان عليه التحية، وأخذا يبكيان في حضنه من شدة الحزن على ما حدث ليلة أمس وصباح اليوم،ترقرقت عيون هشام بالدموع، وهو يحضن أبناءه ويربت على ظهورهم

- كفاية بقى ارجوكم

وأخذهما متجها لكنبة الأنتريه وجلس الثلاثة، اطرق هشام رأسه للأرض، وهو يمسح عيونه بكفيه، ويسوى ذقنه بأنامله، وعاود ارتداء النظارة الطبية، والتفت لحمزة وقال في حنو بالغ

- دلوقتى يا حمزة هقدر أجاوبك على كل الأسئلة اللي بدور في رأسك

لكن علياء لم تمهله وأسرعت في سؤاله

- مين الست ده يا بابا؟

التفت اليها هشام مبتسما

- مامتك يا علياء

تنهد حمزة بحزن

- قول يا بابا اللي انت مخبيه عننا من فترة.

أخذ هشام يحكى لأولاده ما حدث منذ خمسة وعشرين سنة، عندما عثر على والدتهما مصابة في حادث على الطريق، ملقاة على الرصيف بين الحياة والموت، رغم أن الجميع أكد أنها قد فارقت الحياة، لكن إحساسه أخبره أنها على ما تزال قيد الحياة، حملها بين زراعيه، وهرول بها لأقرب مستشفى، وبعد

أن تم علاجها من آثر الحادث، مكثت في الغيبوبة لفترة قليلة، حتى حدثت المفاجأة الرهيبة وغير المتوقعة، حينما أفاقت من الغيبوبة، واكتشف أنها فاقدة للذاكرة.شخص حمزة وعلياء في والدهم، وعقد حمزة حاجبيه قائلا

- مين سماح رشاد شاهين؟

مسح هشام ذقنه باناملة، وقال في خجل واضح، انه تصرف بتلك الحماقة، التي ادت إلى تلك النتيجة، التي وضعته واولاده في ذلك المازق الرهيب

- بنت عمتي.. ماتت وهى لسه طفلة صغيرة ونسيوا يستخرجوا ليها شهادة وفاة، لان عمتي مرضت بعد صدمة وفاة سماح، لأنها كانت أول وأخر فرصة ليها في الإنجاب، جوزها حاول يخفف عنها الصدمة اخدها وراحوا يعملوا عمرة، وكان القدر ارحم بيهم وو افتهم المنية هناك، على اثر حادث في مكة، ما كنش قدامى حل تاني، غير انى استغل شهادة ميلاد سماح بنت عمتي واخلي البنت دي تحل محلها في الأوراق الرسمية. ومرت ستة شهور و أنا وهى بندور على أهلها دون جدوى، فى وسط الدوامة دي جاتنى فرصة العمل في السعودية، وعلشان مسيهاش لوحدها رفضت السفر.لكنها عرضت عليا نتجوز وتسافر معايا، بعد ان يئست من العثور على أهلها، وتجوزنا فعلا وسافرنا، ووقفت جنبي كتير، كانت إنسانة بمعنى الكلمة في أخلاقها و إنسانيتها وطيبة قلبها وحنيتها كزوجة وأم؟

قالت علياء في حزن، وشفقة على والدها الذي كانت تبدو عليه علامات الانهيار

- ازاى ماما بعد اللي عملته عشانها تتعامل كده معاك؟

قال حمزة في هدوء وهو يحاول استيعاب كل ما سمعه من والده

- علياء خليكي حيادية لو سمحتى وقولى الحق؟

نظر إليه هشام في اندهاش، وقال في نبرة استياء

- و ايه هو الحق من وجهه نظرك يا حمزة؟

قال حمزة فى تردد واضح

- أنت ظلمت ماما يا بابا

ارتسمت على ملامح هشام علامات الضيق، من رد ابنه حمزة، ولكنه أشار إليه أن يكمل كلامه، ولكن علياء لم تقبل هذا الاتهام الصريح لوالدها من حمزة، وبضيق وغضب قالت

- بعد اللي بابا عمله معاها بتقول ظلمها وتسمي اللي هى عملته فيه إيه؟

لم يهتم حمزة بكلام علياء ووجه كلامه لوالده بهدوء

- بابا أنا في المستشفى شفت إنسانة حزينة مكسورة تبكى من قهره قلبها

أطرق هشام رأسه للأرض حزنا، ولم يرد، وأردف حمزة قائلا

- بس اللي أنا متأكد منه، انك مستحيل تكون أتعاملت معها، بنفس الأسلوب اللي حكيت عنه، بتعاملك مع البنت اللي فاقت بعد حادثه الأتوبيس، ليه يا بابا كنت قاسي وجاف معها كده؟

- علشان كنت خايف عليكم من الصدمة

- طيب ليه مفكرتش فيها هى كمان.. وصدمتها لما تقوم من غيبوبتها.. تلاقى نفسها ست كبيرة وأم لأولاد كانت في سنهم لما فقدت وعيها.

تدخلت علياء في الحوار دفاعا عن موقف والدها

- يعنى أنت بتحمل بابا نتيجة اللي حصل كله؟

نظر إليها حمزة، وهو يهز رأسه بالموافقة والتأكيد على كلامه

- أيوه يا علياء بابا المسئول عن اللي حصل كله

رفع هشام رأسه، ونظر لحمزة بحزن

- بعد كل اللي حكيته ده.. أنا برضو اللي غلطان يا حمزة.

اقترب حمزة منه وربت على فخده قائلا

- لو كنت أخذت ماما في حضنك ومسحت على شعرها وكتفها وحكيت لها اللي حصل يوم حادثة الأتوبيس ووصولا لحادثه الحمام... وحبك ليها وحنانك معها واللي عملته عشان خاطرها و انك حافظت عليها... كان مستحيل يكون ده رد فعلها معاك

ثم نهض من جلسته ووقف أمام والده وعلياء وأردف قائلا

- أنتم ليه عايزين تحاسبوها على عدم قبولها لحياة وو اقع هى أصلا متعرفهمش ؟

وقف هشام في حزن، و انسحب من الجلسة متجها لغرفة نومه،سار حمزة خلفه وهو يحادثه

- صدقنى يا بابا ماما غادة راجعه

التفت إليه هشام و أبتسم ابتسامة حزينة وأومأ برأسه

- ان شاء الله يا حبيبي

وعاود السير مرة أخرى مغادرا المكان، اقتربت علياء من حمزة، وأخذت تعنفه عما صدر منه ضد والدهما وأن كلامه جرحه وأغضبه، نظر إليها حمزة بحزن، وتنهد وهو يربت على كتفها

- أحيانا بيكون الدواء مر بس الشفا مضمون

نظر الاثنان لبعضهما البعض في حزن، و اتجه كلا منهما لغرفة نومه.

-١٣-

كان الطريق طويل ومظلم ومخيف، وعلياء تمشى في وجل وخوف، تتلفت عن يمينها ويسارها تبحث عن مخرج، ينقذها من خوفها، ومن ذلك الطريق الرهيب الذي لا ينتهي، وهى ترتعش وجبينها يتصبب عرقا، ظلت فترة غير قليلة على هذا الحال، إلى ان ظهر نورا من بعيد، أخذت تهرول نحوه، وتصارع دقات قلبها، حتى وصلت إلى ذلك النور، الذي يشق ظلمة الطريق، وجدته يظهر من خلف باب موارب قليلا، اقتربت من الباب ومدت يدها وفتحته، ودخلت من ذلك الباب الكبير، فوجدت نفسها في مكان متسع شديد الأنوار، كان النور ساطعا، لكنها رأت وسط ذلك النور، وجها ملائكيا لا تظهر ملامحه بوضوح، ظلت تمشى والطمأنينة تشرح صدرها، إلى أن وصلت إلى ذلك الوجه، وكانت المفاجأة حينما رأت عائشة، تجلس على كرسي مرتفع كانت ترتدي ملابسها المحتشمة البيضاء الجميلة ووجهها يشع نورا، وتحمل في يدها مصحفها، وقفت أمامها وبكت، ونزلت على ركبتها، ووضعت رأسها بين ركبتي عائشة، وهى تقول في توسل

- أنقذيني من اللي أنا فيه يا عائشة

ابتسمت عائشة، ووضعت يدها على رأس غادة، وأخذت تتمتم بآيات من القران، حتى هدأت،فأمسكت يدها ونهضا سويا، ومشيا عدة خطوات إلى الأمام، ثم أشارت إليها عائشة على الطريق وقالت في حنو بالغ اشعر غادة بالراحة والسكينة

- هذا طريق نجاتك يا غادة.. كوني سماح لتكوني عائشة

وغادرت المكان بسرعة، وغادة تتابعها من بعيد حتى اختفت عن عيونها، تلفتت غادة حولها فلم تجدها ظلت تنادى عليها

- استنى استنى خدينى معاكى

تعالى صوتها، حتى وصل لمسامع الدادة سميحة بالغرفة المجاورة، والتي هرولت مفزوعة لغرفة

- غادة، فتحت الباب وأضاءت الأنوار، فاستيقظت غادة من نومها، والعرق يتصبب من جبينها وجسدها الذي يرتعش، اقتربت منها الدادة ومدت يدها بكوب الماء

- خدي يا بنتى اشربى

مدت غادة يدها وأخذت كوب الماء، وارتشفت منه رشفة ثم تركته، مدت الدادة يدها وأخذت كوب الماء وهى تسألها

- هو برضو نفس الحلم؟

أخذت غادة نفسا عميقا وزفرته بألم وتنهدت

- أيوه يا داده نفس الحلم ونفس الجملة اللي ما بتتغيرش

ربتت الدادة على كتفها، وهى تعيدها لوضع النوم وتسحبت الغطاء على جسدها وهى تقول

- طيب نامى دلوقتى والصبح نتكلم

اعتدلت غادة من وضع النوم، وأمسكت بيد الدادة، وأجلستها بجوارها على طرف السرير

- لا اقعدى نتكلم دلوقتي.. أنا خلاص قلقت ومش هعرف انام تانى دلوقتى.

نظرت إليها الدادة بحنان، و ابتسمت وأخبرتها أنها لم تغير طباعها وتصرفاتها، عقدت غادة حاجبيها، وهى تنظر إليها بتعجب، فأردفت الدادة كلامها، بأنها ما زالت تحب السهر، ولكن غادة فهمت ان هذا ليس ما تقصده الدادة من كلامها، فقالت لها

- قولى اللي عايزه تقوليه أنا سمعاكي

وفى تردد قالت لها، أنها تعرف أن ما سوف تقوله،لن يروق لها ذكره، ولكن من واجبها نحوها أن تقوله لأنه الوقت المناسب، فهى من ربتها منذ نعومة أظافرها، وعاشت مع أسرتها طوال فترة غيابها، وتعلم بحالهم الذي يعيشون فيه، ومن الواجب أن تخبرها انه من الضروري أن تعود إلى زوجها وأولادها وبيتها، وان تترك هذا البيت، اتسعت عيون غادة، وهى تنظر إلى الدادة وألقت بالغطاء عن جسدها بعيدا، ونهضت من فوق السرير،ووقفت أمام الدادة في غضب وقالت

- انتي بتقولى إيه؟

نهضت الدادة من جلستها ووقفت امامها

- بقولك اللي لازم تسمعيه.

عاودت غادة الجلوس مرة اخرى على طرف السرير،وأمسكت بكف الدادة سميحة وأجلستها بجوارها وهى تنظر اليها بحب

- قولي اللي انتى عايزه تقوليه؟

ابتسمت الدادة وهى تجلس بجوارها

- طول عمرك طيبة وحنينه رغم عصبيتك يا غادة يا بنتي

ضحكت غادة بصوت مرتفع، وهى تطلب منها أن تكف عن اللف والدوران في الحوار، وتخبرها بما تريد مباشرا.ابتسمت الدادة وهى تنظر إليها وتمد يدها وتسحبها لحضنها، وتمسح على شعرها، وتخبرها بأنها لابد ان تغادرهذا البيت، الذي لم يعد بيئة صالحة، لتعيش فيه وردة بيضاء مثلها،رفعت غادة رأسها بعيد عن حضن الدادة، ونظرت إليها باستغراب

- ماله البيت يا دادة؟

- ما بقاش مناسب ليكى.. بعد خمسة وعشرين سنه.. عشتيهم كملاك.. زى هشام بيه وصفك

قامت غادة من مكانها، وبعصبية وغضب شديدين، قالت وقد اتسعت عينيها
- اللي كان بيوصفها هشام سماح يا دادة.. لكن انا بالنسبة له غادة
ابتسمت إليها الدادة في محاولة لامتصاص غضبها
- ازاى ما قدرتيش تحسي من صوته.. وتفهمي من نظرات عينيه.. وهو بيقول حبيبتي وملاكي وحب عمري
ألقت غادة بنفسها على السرير، وقد ترقرقت عيونها بالدموع، واختنق صوتها وهي تقول
- كان يقصد سماح يا داده مش غادة
جلست الدادة بجوارها مره أخرى، وأخذت تربت على كتفها
- هو كان كلامه ليكى انتي سواء كنتي غادة او سماح افهمي
غلبت الدموع غادة وفرت هاربة على خديها.فأكملت الدادة كلامها
- صدقيني يا بنتي الحادثة دي كانت خير، انتي كنتى بنت كويسة، بس كل الطرق اللي حواليكي كانت غلط، لكن ربنا أختارلك طريق هشام وبعته ليكى رحمة. ارجعى يا بنتى لزوجك وأولادك.
خرجت الدادة سميحة من غرفة غادة، وتركتها تائهة في ذلك الو اقع المرير، وضعتها كلماتها على مفترق الطريق، بين أن تعود إلى الماضي كغادة، او ترحل إلى المستقبل كسماح.

- ١٤ -

على مائدة الإفطار، كانت غادة تجلس مع والدتها، وهي شاردة الذهن، لاحظت والدتها أنها سارحة في الملكوت، تنظر إلى الطعام ولا تمد يدها لتأكل، لا تشعر بما يدور حولها، عيناها معلقة على تلك الصورة التي تحتل الحائط، لتلك البنت المدللة غادة، بابتسامتها البريئة، ووجها النضر، وجمالها الصارخ، وملامحها الجميلة، ربتت الأم على يدها، فتنبهت من شرودها، ونظرت إلى أمها و ابتسمت وأمها تسألها

- مالك يا غادة؟

- نعم يا ماما بتقولى شئ

نظرت إليها أمها بحزن

- سرحانة فى ايه يا بنتي؟من يوم ما رجعتى و انتى متغيرة؟

ردت غادة بألم وحزن

- انا فعلا أتغيرت يا ماما تايهه.. وحاسة اني و اقفة فى مفترق طرق

لم تستطيع غادة منع دموعها من الهطول على خديها، وهى تصف حياتها بأنها كانت بنت تافهة، تعيش حياتها في تلك الدنيا لعب وسهر، لا تشعر إلا بدلالها وجمالها وثراء عائلتها، كانت تعيش الدنيا طولا وعرضا، لا تهاب أحدا، ولا تعطي أهمية لأي شئ.وان والدتها و أبيها هما السبب في كل ذلك،لإهمالهما لها و انشغالهما بمشاريعهما، وكأنها كم مهمل في البيت، وليس هي فقط بل وأشقائها أيضا الذين لم يكونوا أكثر حظا منها، لقد تنازل الأب والأم عن نصيبهما في تربيتهم إلى الدادات والشغالات. ذكرتها بتلك البنت عائشة، التي قابلتها في محطة الأتوبيس، كانت بنت رائعة فى كل شئ، وجميلة الخلق والخلقة، محجبة وملتزمة، والمصحف لا يفارق يدها ولسانها رطب بذكر الله،

لقد رأت في عيونها شفقة عليها، ورق قلبها على تلك البنت المستهترة، التي لا تفارق السيجارة أصابعها، ولا زجاجة البيرة يدها، ولا الملابس الفاضحة لجسدها.

لقد هزتها تلك الشخصية، التي لم تراها بداخل بيتها، تذكرت تلك اللحظة الرهيبة حينما فقد السائق، السيطرة على الأتوبيس، واستسلم الجميع للخوف، لاحظت خوف عائشة الشديد عليها، رغم التزامها وأخلاقها،تذكرت تلك السعادة التي انتابتها، حينما شعرت بان تلك الميتة البشعة، رحمة من الله، لتكفيرذنوبها التي امتلأت بها صحيفة أعمالها، لذلك خلعت السلسلة من رقبتها وطوقت بها عنق عائشة، وطلبت منها ان تتذكرها دائما، وتقرأ لها الفاتحة، تطلب لها الرحمة والمغفرة من الله، لأنها كانت على يقين، ان لا احد سيتذكرها بعد موتها، ويقرأ على روحها الفاتحة، نظرت إليها الأم في حزن وقالت في أسى واضح

- أزاى تقولي كده يا بنتى؟

- هى دي الحقيقة يا ماما، تقدرى تقوليلي يا نجوى هانم، أزاى قلبك محسش ان الجثة دي، مش جثة بنتك، ومفيش مرة خلال الخمسة وعشرين سنه اللي غبت فيهم، إحساسك وقلبك ماقالوش ولو لمرة واحدة ان بنتك غادة عايشه!

أطرقت الأم رأسها أرضا، دون ان ترد بكلمة واحدة، فأكملت غادة كلامها وهي تبكي.

- طبعا مستحيل.. لان نجوى هانم سيدة الإعمال.. ومديرة الجمعية الخيرية الكبيرة، وعضو مجلس إدارة النادى العريق.. مشغولة بنفسها وبوضعها الاجتماعي..و ايه يعنى بنت ماتت.. عندها بنت وولد عايشين... ولكني اكتشفت إن ربنا عاقبني عقاب اكبر من الموت فى الحادثة!! اني مت مرتين و أنا عايشه

رفعت الأم رأسها، وأخذت تنظر إليها باستغراب شديد، وتعجب من كلامها، بعيون تغلبها الدموع، فبادرتها غادة بقولها

- أيوه انا مت مرتين مستغربة ليه؟

- أزاى يا بنتى تقولى كده؟

- لما مت بالنسبة ليكم انتي وبابا واخواتى من خمسة وعشرين سنة.. ونسيتنونى بكل سهولة.. والدليل على كده ان اخواتى استكفوا بسماع الحكاية من خلال مكالمة تلفونية.. وما فكروش ينزلوا مصر يشفونى بعد غيابي.. وكأن رجوعى ولا له أهمية عندهم.. وكمان هشام.. سماح ماتت عنده لما غادة رجعت لها الذاكرة.. وانا بغبائى وقلة عقلى وجنونى... قتلت غادة عند حمزة وعلياء.. بعد تعاطفهم وحنيتهم عليا فى الفترة اللي عشتها معاهم.. بعد كلامي الأخير مع هشام فى حضورهم... شفتى بقى انى ميتة فى كل الأحوال..سواء كنت سماح أو غادة.

غطت غادة وجهها بكفيها، وهى تبكي من الحسرة والندم.فمدت الأم يدها، وأبعدت يد غادة عن وجهها وقالت في حنو وعطف وشعور بالذنب

- كفايه بقى ارجوكى وجعتى قلبى

- عندك حق هيفيد بايه البكاء على الاطلال

حاولت الأم ان تغير من حالة ابنتها، مسحت على رأسها وقالت في حنان

- تعرفى انا نفسى فى ايه يا غادة؟

- تؤمرى يا ماما

- اشوف ولادك حمزة وعلياء

انتبهت غادة بكل جوارحها ونظرت إليها باهتمام

- بتتكلمى بجد يا ماما

- طبعا احفادي ولازم اشوفهم

- بس تفتكري هيو افقوا يجيوا أو يمكن هشام يمنعهم

قاطعتها أمها وقالت في ثقة

- من المرة الوحيدة اللي شفت هشام فيها.. انا متأكدة أنه مستحيل يمنعهم.. و انه هيشجعهم على زيارتك...

ضحكت غادة بسخرية

- عرفتى ده كله من جلسة واحدة معاه يا ماما.

- طيب جربى علشان تتاكدي انه انسان نبيل.. و انه بيحبك يا غادة يا بنتي..

- ١٥ -

وضع الهاتف النقال أمامه على المكتب بعد أن أنهى مكالمة، حينما طرق السكرتير باب غرفته واخبره انه لا يوجد مرضى بالخارج، ولا يوجد إلا صديقه المهندس هشام، ينتظره منذ ساعة ورفض الدخول إلا بعد انتهاء ميعاد العيادة، نهض دكتور محمود مسرعا من جلسته متجها إلى الغرفة التي يجلس فيها هشام، وقف أمامه ومد يده ليصافحه وهو يقول

- ليه مدخلتش من الاول.

تنهد هشام بتعب وهو ينهض لمصافحته

- محبتش اشغلك عن مرضاك يا دكتور

سحب محمود هشام من يده، و اتجها سويا لغرفة المكتب، جلس محمود خلف المكتب، وجلس هشام على المقعد المقابل له، أخذ محمود يتفحص ملامح هشام المجهدة، بوجهه شاحب اللون وذلك السواد الذي يحيط عينيه، من اثر قله النوم، كان الألم يعتصر قلبه، لان وجه هشام افصح عن كل ما يدور بداخل عقله، ولكن محمود لم يستطيع الصمت

- أخبارك وأخبار الولاد ايه يا هشام؟

تنهد هشام وعض على شفتاه وهو ينظر إلى محمود، ويخبره أنهما ليسا بخير، وأنهما يمران بمنحنى صعب فى حياتهما، فحمزة أصبح حزينا قليل الكلام،أما علياء فهي ليس أقل منه حزنا، ولكنها تحاول ان تظهر عكس شعورها. لقد أصبح البيت بلا حياة.

- كان محمود يسمعه وقلبه يتمزق، لما وصل إليه حاله وحال أسرته، ولكنه أصر في نفسه على مناقشه الموضوع، و إيجاد حل نهائي لهذه المشكلة المعقدة.

- طبعا لو قولتلك أنك السبب فى كل اللي حصل تتضايق وتقولي كلامك قديم ومالوش لازمه؟

- بس انا مش ندمان على اللي عملته معاها من خمسة وعشرين سنه..لأنها كانت أجمل أيام حياتي.

- وعملت ايه عشان تحافظ على الحياة الجميلة دي؟

- تقصد ايه يا محمود؟

- أنت يوم ملاقيتها.. شفت لبسها كان ازاى.. وأكيد قدرت تستنتج حياة التسيب والانحلال اللي كانت عيشاها.. واللي حذرك منها محمد الصائغ.. لكن انت ضربت بكلامه عرض الحائط واصريت على الارتباط بيها

أطرق هشام رأسه أرضا وهو يقول

- فعلا.. انا غلطت في حق أولادي قبل ما يتولدوا

نهض محمود من مكانه، و اتجه نحو هشام ومسح على كتفه، وجلس على المقعد أمامه

- انت غلطت للمرة الثانية كمان.. وكانت هى الغلطة الأكبر يا هشام.

ظل هشام على صمته ولم يرد

- غلطتك انك أتعاملت مع غادة على أنها سماح ونسيت حالها قبل الحادثة كان ازاى.

- كنت خايف على أولادي من الصدمة يا دكتور.

- مشاعرك وحبك ليها غلبوك وخوفك انك تخسرها شل تفكيرك وكمان المفاجأة غير المتوقعة إن الذاكرة ترجع لها بعد العمر ده كله.

استمر محمود فى كلامه، وهشام ينظر إليه، حتى بدأت الصورة تهتز أمام عينيه، وأصاب رأسه دوار شديد، شعر بصداع يضرب رأسه، وهبوط حاد في الدورة الدموية، حتى فقد هشام وعيه. وسقط على الأرض، فنهض محمود مسرعا وهو يصرخ وينادى عليه

- هشام...هشام؟

- ١٦ -

كان حمزة وعلياء يقفان خلف الحاجز الزجاجي لغرفة العناية المركزة، حيث يرقد هشام على سرير أبيض، وتتصل بجسده خراطيم الأجهزة الطبية المحيطة به، وجهاز التنفس الصناعي على فمه، كاد الخوف ان يقتلهم، من مشهد الأب الراقد بين الحياة والموت، والأم التي هجرت البيت بلا عودة.

فجأة رن الهاتف الجوال الخاص بحمزة، مسح دموعه ومد يده وأخرجه من جيب بنطاله، اتسعت عينيه وهو يرى اسم المتصل، اخذ الهاتف النقال، وتحرك بعيدا عن أخته علياء، حتى لا تسمع حواره مع المتصل، تلقى المكالمة التي استمرت لمدة خمس دقائق، حتى أنهاها وعاد مرة أخرى إلى مكانه بجواره أخته علياء، واخبرها انه سوف يغادر المستشفى لمده ساعتين، وسيعود بسرعة وعليها أنت تتابع حالة الأب حتى يعود، وعند حدوث إي تطور في حالته، تتصل به فورا، كانت علياء خائفة ومتوترة وسألته عن وجهته، فطمئنها بأنه سوف يخبرها بكل شئ عند عودته، وهو يربت على كتفها وغادر المستشفى.

وصل حمزة فى الميعاد المحدد لمقابلة صاحب الاتصال، وقف على الباب ودق الجرس، فتحت له الخادمة،رحبت به واصطحبته إلى الداخل حيث ينتظره أصحاب البيت، سار خلفها حتى وصلت إلى الصالون، حيث تنتظره غادة ووالدتها نجوى هانم، ألقى عليهما التحية دون مصافحة، أذنت له نجوى هانم بالجلوس، وهى تتأمل ملامحه قريبة الشبه من أمه غادة، وجسده قريب الملامح من والده هشام، وكأنه امتلك صفات الاثنين معا.

جلس حمزة واطرق رأسه نحو الأرض، ولم ينطق بكلمة،اقتربت منه غادة وربتت على كتفه وسألته عن أخباره وأخبار أخته علياء، فنظر إليها بحزن

وهو يخبرها أنهما بخير، فابتسمت إليه، وسألته في نبرة عتاب

- ليه مسلمتش على تيتا نجوى وبوست ايدها؟

عاود النظر اليها مرة اخرى وهو يقول

- تقصدي نجوى هانم والدة حضرتك يا غادة هانم؟

ردت نجوى بسرعة، في نبرة عتاب لهذا الحفيد الذي ينكر جدته..

- وجدتك يا حمزة

نظر إليها وهو يضحك رغم الألم الذي يعتصر قلبه

- حضرتك والده غادة جلال بركات.. و أنا والدتي سماح رشاد شاهين.. تبقى أزاي جدتي؟

انتفضت غادة من جلستها ووقفت لتعنفه على أسلوبه المتبجح معها ومع امها وقالت في غضب

- انت بتقول ايه؟

فوقف حمزة أمامها، ونظر في عينها بكل قوة وتحد

- بقولك كلامك اللي انتي قولتيه لوالدى... ليلة ما مشيتى من بيتنا يا غادة هانم

ازداد غضبها، واشتعلت عصبية، وشعرت أنها تقف أمام هشام زوجها وليس حمزة ابنها

- طبعا والدك اللي قالك تقولي كده؟

نظر إليها حمزة بغضب مغلف بحزن، وهو يطلب منها أن تترك والده وشأنه، فهو يرقد الآن في المستشفى بين الحياة والموت، بعد أصابته بذبحة صدرية، نتيجه الضغوط النفسية التي تعرض لها في الفترة الأخيرة.جحظت عينها من هول المفاجأة وارتعشت خوفا، تنهد حمزة وهو ينظر إليها بشفقة، حزينا على حالها،لكنه طمئنها بأنها ليست المسئولة الوحيدة عن ما حدث

لوالده، فجميعهم مسئولون عن تلك النكبة التي حلت به، بداية من أصدقاءه الر افضون منذ البداية لتلك الزيجة، والر افضون لما فعله من اجلها سابقا، ويحملونه الآن السبب في كل ما حدث له، لقد عاودو تذكيره بتحذيراتهم من تلك الزيجة، وعو اقب ذلك على حياته في المستقبل، وكيف تأكد له صدق كلامهم. مرورا بتلك الفتاة التي ضحي من اجل أن ينقذها وصنع منها ربة أسرة، لكنها تنكرت لكل تلك التضحيات، ورفضت حياته بكل ما فيها، وضربت بتضحياته من اجلها عرض الحائط، بل تطاولت عليه ولأول مرة منذ أن عثرعليها بكلماتها الجارحة، والمهين له أمام أولاده. واتهم نفسه بأنه لم يرحمه، وقف في وجهه واتهمه بعدم العدل في معاملته لغادة بالمقارنة بمعاملته لسماح.

نظرت إليه نجوى هانم بضيق، وأمرته أن يهدأ ويجلس بجوارها ليتحدث مع أمه بهدوء، فهو شاب مهذب وطيب القلب، وان أمه لا تنسى تعاطفه معها خلال فترة تواجدها في بيت هشام، التفت حمزة نحو جدته وأعتذر إليها، على ارتفاع صوته وعصبيته أمامها، وطلب منها أن تلتمس له العذرفحالته النفسية متعبة للغاية، من هذا الصراع الخفي بين والده وغادة هانم.

مدت غادة يدها، ولامست ذقنه في حنو، حتى التفت إليها، فسألته عن سبب تغير معاملته لها؟

- أنتي ومعاملتك وعنادك غير المبرر لوالدي.

جزت غادة على أسنانها ولم ترد، فأردف حمزة وقال بأنه جاء إلى هنا لسبب واحد، هو ان يقف أمامها ويواجهها بسوء تصرفها مع والده، كما وقف في وجه والده وواجهه بسوء تصرفه معها من قبل، قبضت غادة جبينها في اندهاش، فسألها حمزة

- هل فكرتي فى حالك..لو والدي سابك مرمية على الإسفلت يوم حادثة

الأتوبيس؟

أطرقت غادة رأسها أرضا في شرود، فأردف حمزة

- طبعا مفكرتيش فى حالك لما فقتى من الغيبوبة.. فاقده الذاكرة وفى نفس الوقت اهلك استلموا الجثة التانية على انها انتى.. و انتهيتى بالنسبه ليهم.. كان هيكون ايه مصيرك بدون والدي اللي اتهمتيه بالكذب والخداع يا غادة هانم...على العموم انا هسيبك تفكرى وتاخدي قرارك.

التفت نحو نجوى هانم، ثم قام و اقترب منها سلم عليها وطبع قبلة حانية على يدها وراسها

- تسمحيلى استئذان دلوقتى؟

دار الألم في قسماتها، وهى تهز رأسها بالمو افقة، التفت حمزة نحو الباب دون أن ينظر نحو غادة،وقبل أن يغيب عن نظر نجوى، نادت عليه لتسأله عن اسم المستشفى الر اقد بها والده، فالتفت إليها وأشار بيده نحو غادة، وأخبرها بأنها نفس المستشفى التي كانت ترقد فيها غادة هانم، والتفت مرة اخرى نحو الباب، مغادرا البيت. وما ان أغلق الباب خلفه، حتى انفجرت غادة بالبكاء، وألقت بنفسها على الكرسي وهى تقول

- حتى حمزة كرهني؟

اقتربت منها أمها بكرسيها المتحرك، وأخذت تربت على كتفها في عطف، وهى تخبرها بأنها قد فهمت غضبة ابنها على أنها كراهية، لكنه الحب الحقيقي، والحزن الشديد على فر اقها، ورغبة منه ان يلين قلبها وتعود إلى البيت، وتلتئم الجروح، وتعود الأسرة إلى سابق عهدها،وطلبت منها ان تستجيب لنداء أولادها وزوجها، وان تعود إلى البيت الذي أقامته بيديها على دعائم من الحب والتعاون، فهشام يستحق أن تعود إلى أحضانه، لأنه يعشقها وفر اقهما يحرق قلبه حتى سقط صريع المرض، وأولادها يستحقون أن تلبى

نداء الحنين في قلوبهم، لقد رأت الحيرة والقلق في عيون ابنها أن ينهار ذلك البيت الذي يجمع شمل الجميع تحت مظلته.رفعت غادة رأسها ونظرت إلى أمها في حيرة دون أن ترد، فأردفت الأم في عطف

- أرجعى يا بنتى لجوزك وولادك..وحافظى عليهم.. وعيشى معهم غادة بقلب وأخلاق سماح وبلاش تكررى نفس غلطتى..بعصيانى وحب لنفسى.. واهمالى لبيتى وولادى..واللي وصلكم لحالكم الضايع ده، أخوك يأخد الفلوس كلها بعد وفاة والدك وهاجر باسرته.. وما فكرش في مرضى وعجزى..وكمان اختك عملت زيه.. والجمال والسلطة والغرور للاسف هجرونى وتركونى اسيره لعجزى ووحدتى وصديقي الوحيد المقعد المتحرك ده اللي مش هيفارقني لحد ما اموت.

وأخذت تضرب بيدها على الكرسي بعصبيه وهستيريا شديدة مصحوبا بحالة من البكاء، فنهضت غادة من مكانها، وضمت أمها إلى صدرها وهى تربت على ظهرها

- بس يا ماما.. انا معاكي ومستحيل أتخلى عنك ابدا.

حضنتها أمها بشده

- أرجعي للطريق الصح وأوعي الفرصة تضيع منك وتكوني صورة مكرره ليا.

- ١٧ .

مريومين، وغادة تتقلب على جمر مشتعل، يحرق قلبها ويشعل نار شوقها إلى أولادها وزوجها، حائرة بين حبها لهشام وأولادها، وكبريائها الذي يمنعها من العودة.

- كانت نائمة في سريرها، وهى ممسكة بصورة، تجمع هشام وحمزة وعلياء، أخذت تتحسس بأصابعها وجوههم، وتردد بهمس.. وحشتونى.. كانت دموعها تنهمر على خديها، حتى غلبها النعاس، وهى تحتضن الصورة.

استيقظت مفزوعة من ذلك الحلم المكرر، الذي لا يفارقها، منذ أن غادرت بيت هشام، ولأول مره تنهض من سريرها، تنوي الوضوء والوقوف بين يدي الله، توضأت وارتدت إسدالها، ووقفت على سجادة الصلاة لتصلى الفجر، وتبتهل إلى الله، تطلب الهداية، ان يرشدها على الطريق الصحيح، انتهت من صلاتها ودعائها، وعادت مرة أخرى إلى سريرها، ونامت في هدوء حتى الصباح، وعندما استيقظت من نومها، كان وجهها مشرقا وشعرت براحة البال.

لقد أخذت قرارها، خرجت من غرفتها وهى ترتدي ملابس الخروج، ألقت بتحية الصباح على أمها التي تنتظرها على مائدة الإفطار، وعندما التفتت نحوها وهى ترد التحية، رآتها ترتدي ملابس محتشمة، الوشاح الذي يطوق رأسها،

- انتى خارجه يا غادة؟

ابتسمت إليها غادة بسعادة

- ايوه يا ماما.

- خدينى معاكى يا غادة.

نظرت إليها غادة باندهاش

- انتى عارفه انا رايحه فين يا ماما؟

- شروق وجهك ولمعه عيونك وابتسامتك الجميلة.. بتقول انك أخدتى القرار الصح... ور ايحة للطريق الصح.

- ١٨ -

كان حمزة وعلياء في انتظار خروج دكتور محمود من غرفة العناية، وبمجرد ان خرج بابتسامته المعهودة التي تريح القلب، هرعا نحوه عند باب الغرفة وبصوت واحد

- طمنى على حاله بابا يا دكتور؟

ابتسم لهما وهو يخبرهما أن حالة هشام قد استقرت، وما هى إلا بضع ساعات، وسيتم خروجه من غرفة العناية المركزة،أبتسم الاثنان وهما يحمدان الله على مروروالدهم من هذه الوعكة الصحية بسلام، وشكرا دكتور محمود، الذي غادر المكان، بعدما راى الابتسامة والفرحة تعلو وجهيهما.وعاد إلى مكانهما خلف النافذة الزجاجية، لمتابعة حالة والدهم.

مر الوقت عليهما وهما على حالتهما خلف النافذة، واكتملت سعادتهما عندما حضر طاقم التمريض لغرفة العناية، لتجهيز هشام ونقله لغرفة عادية، وهما يتمتمان بالحمد والشكر لله.

ألتفت علياء عن يمينها، و اتسعت عيناها من هول المفاجأة، ومدت يدها لتجذب حمزة من زراعه، ليشاهد ما لم تتوقعه، أنها أمها غادة تهرول ناحيتها، وعلى ملامحها القلق والخوف، والدموع تهرع من عيونها، كان فريق التمريض قد أخرج هشام من غرفه العناية، فهرولت غادة نحوه، وأخذت تتحسس وجهه ولحيته بأناملها، و اقتربت منه وقبلت جبينه وهى تقول

- ألف سلامه عليك يا حبيبي..

سالت الممرضة في لهفة عن زوجها، فأخبرتها بأنه قد أفاق من الغيبوبة، وهو الآن نائم ولن يستيقظ إلا خلال ساعة، وسحبت السرير في اتجاه الغرفة.

هرول حمزة وعلياء نحو حضن أمهما غادة، يقبلان يديها ورأسها في سعادة،

وهى تشاركهما فرحتهما وتحضنهما وتقبلهما وتضمهما لصدرها في حب وحنان،ونجوى تتابع الثلاثة في فرحة غامرة، لقد أعادت غادة إليها الحياة من جديد، حياتها الفاغرة بلا أسرة، البيت الذي كان يعج بالضيوف ليل نهار، اللهووالفرح والسهرحتى الصباح الباكر، عشش فيه الحزن، والوحشة والغربة، ها قد أشرق البيت بعودتها، وليست بمفردها، بل بزوج وولد وبنت، كم تتمنى أن تبقى بجوارها حتى ترقدها في قبرها، لكن بيتها زوجها وأولادها الأولى بها، انتبهت غادة أن أمها معها، فأفاقت من فرحتها ونظرت إلى أولادها وطلبت منهم أن يرحبوا بجدتهم، فهرول حمزة وعلياء نحو جدتهم يقبلان رأسها ويدها، نظرت نجوى إلى علياء تتأمل وجهها

- سبحان الله نسخة منك يا غادة و انتى فى سنها.

اقتربت غادة من علياء، حضنتها وطبعت قبلة على خدها، وقالت وهي تسرح في عيونها

- هشام كمان قالى كده.

نظر إليهم حمزة بسعادة، وطلب منهم الذهاب للغرفة التي يرقد فيها والده، أقترب من جدته ودفع الكرسي المتحرك التي تجلس عليه، وسارت خلفهما علياء وغادة حتى وصلوا إلى الغرفة، دخلوا بهمس حيث يرقد هشام.

جلس حمزة وعلياء على الأريكة المقابلة للسرير الذي يرقد عليه هشام، وبجوارهم جدتهم بكرسيها المتحرك،أما غادة فقد اتجهت نحو السرير، وجذبت اقرب كرسي، وجلست بجوار زوجها هشام، وأمسكت بكف هشام النائم، تقبلها وهي تعتذر إليه وتهمس في أذنه،التفت نجوى نحو علياء وحمزة وهى تبتسم

- ايه رايكم تروحوا معايا على الفيلا

التفت إليها غادة، وأشارت بالرفض ونهضت من جلستها، و اقتربت منهم

- لايا ماما.... حمزة وعلياء هياخدوكي معاهم على بيتنا.. حمزة افتح غرفة سماح لجدتك ترتاح فيها.. و انتى يا علياء انقلي كل حاجاتى الخاصة فى اوضه بابا.

نظر حمزة وعلياء لبعضهما إلى بعض فى سعادة، وهرول حمزة نحو أمه، واحتضنها في فرح وقبلها من خديها وجبينها والتفت لشقيقته وجدته، وأشار إليهما

- يلا بينا على بيتنا

سحب حمزة وعلياء الكرسي المتحرك فى سعادة، وغادروا الغرفة، على وعد بالعودة فى الصباح الباكر وأغلقوا الباب خلفهم، ودعتهم غادة وعادت مرة أخرى إلى جلستها بجوار هشام تتأمل ملامحه الجميلة، وهو راقد في سريره، لأول مرة تراه مغمض العينين أمامها.

سمعت صوت الآذان ينبعث من مسجد المستشفى، فنهضت لتتوضأ، ثم فرشت سجادة الصلاة ووقفت تصلي فى خشوع، تبتهل إلى الله أن يخرج زوجها هشام من محنته، أن يجمع الله الشمل من جديد،

بدء هشام يستيقظ من نومه، وفي ضوء الغرفة الخافت، فتح عيونه فوجد شبحا لامرأة تصلي أمامه، حاول التحقق من ملامحها، يغمض عينيه ويفتحها، محاولا التأكد من انه لا يحلم، وان هذه المرأة هي سماح، اعتدل من وضع النوم، وجلس ينظر لتلك الجالسة على سجادة الصلاة ترفع يدها الى السماء، تدعو الله ان يشف زوجها، وان يبقى لها السند والحبيب، لم يصدق عينيه وأذنه وهو يردد فى نفسه

- انا بحلم... ولا حقيقة... سماح؟؟

حاول النزول من السرير، ولكن الكالونا المعلقة في يده، منعته من النزول، فنادى عليها بصوت واهن، فالتفت إليه ونهضت من جلستها، أسرعت نحوه

وقفت بجواره، وهى تنظر اليه بحب

- سماح يا هشام.. سماح على كل اللي فات.

رفع يده ليتحسس وجهها، يمسح على شعرها

- انتي هنا يا غادة.

مسكت كفه بكلتا يديها وقبلتها، نظرت فى عينيه، تتأمل ملامحه التي حرمت من النظر إليها بعشق، ذلك الفارس التي تمنته في خيالها، فإذا به و اقع أمامها، ذلك الرجل الذي عوضها عن كل الرجال، والحبيب الذي عوضها عن كل الأحباب.

- ايوه انا هنا.. وهفضل معاك العمر كله

- غادة ولا سماح

- حبيبتك ومر اتك وأم أولادك

- و انا ايه بالنسبه لك؟

ضمته إليها، ووضعت صدرها على رأسه، وهى تقول له

- اسمع قلبي وهو هيقولك

لف يديه حول خصرها وضمها إليه، وقال يهمس في أذنيها،

- بحبك

ولكنهما سمعا طرقات على الباب، قطعت عليهما انسجامهما، فأبتعد عن حضنها، ودعت الطارق للدخول،دخل الدكتور محمود والقي عليهما تحية الصباح، رد عليه هشام بقوة ونشاط، فابتسم دكتور محمود الى غادة، وأخبرها بأن هشام لم يكف عن ذكر اسمها، والنداء عليها طوال فترة الغيبوبة التي غيبته عن الدنيا، فابتسمت إليه غادة، والتفتت الى هشام

- و انا سمعتك علشان كده جيتلك وبسرعة

أبتسم دكتور محمود، وهو ينظر إليهما في سعادة، وحمد الله على سلامتهما

هما الاثنين، واخبر هشام انه سيكتب له إذن الخروج من المستشفى، وينهي تلك الإجراءات بسرعة كعادته، ليخرجا من المستشفى، وتمنى لهما ألا يعودا مرة أخرى، واستئذان مغادرا الغرفة، بعدما أزال عنه الكالونا، وأصبح هشام حرا طليقا، ونظر إلى غادة ضاحكا، وجذبها نحوه بيده

- تع إلى نكمل كلامنا

ضحكت غادة بدلال، وهى تبتعد عنه إلى الخلف عدة خطوات وتقول في دلال واضح

- هنكمل كلامنا في بيتنا

ضحك الاثنان فى سعادة، وهشام ينزل من سريره، لتقوم غادة بتبديل ملابسه، حتى انتهت، ثم قامت بجمع أغراضه في حقيبة، وشبكت يدها في يده، مغادرين المستشفى فى سعادة، لبدء حياة جديدة، تمتلئ بالحب والذكريات الجميلة.

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو 2017

www.lotusfreepub.com

إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
أحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً
حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض
نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين
نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري الشقاء
كتبتُ أحبك

فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا
مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سئمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار
واد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب
كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
- كريتوس

عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك
أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا
خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز - ج١
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات
الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا

رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب
الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجوماتجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة
كالبحر يتنفس موجا
بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو

طرقتُ باب هواكِ
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
خربشات كاتب مجنون
اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة
مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كرتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر
احترف فن كتابة الرواية
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية
قصائد على خد الورد
عازف على ضفاف الشوق
وإني أشتهي وصلا
وانفرطت حبات السحر
هذا ما حدث بالفعل
انتبه إلى يمينك لعله يسار
ماذا علمتني الأيام
قهوة سادة
ثم أشرقت الشمس
دين السياسة
عيونك دربي
في جحر الأرانب
النارية
في الحافلة
نساء على ضفاف الحلم
تغريدة الروح والدم
ديوان الحب والحكمة

خفقات قلب
زهرة الصحراء
في ظل الحبر - ج٢
على ضفاف الذاكرة
محسن المصدوق
إسراء - أصفار العهد القديم
وعلينا السلام
انتقام الشر
الأحلام الوردية
أنت الحياة ودونك الموت
رسايل بحيص
ميراث الماضي
بداية حياة
سلة التفاح
فضة
قانون الحب
على الهامش
بين الجدران
سرطانية
العملاء
حنايا الروح
غربة حرف
غدا يوم جديد
أروقة الحنين
إحساس محمود
أنين سديم
الأتينيو
طلسم عشق
على شرف المحبرة
رباعيات
معزوفة حرف
في ظل الحبر - ج٣
أفول الأوهام
حديث الروح والقلب
أرض الأحلام
ملوك وتيجان
داون ٢١
فين عصايتك
من برلين إلى مارلين
حبيبتي أميرة البحار
رسائل أحرقتها العواصف
أفكار للتأمل
الجني العجوز
أحببت قمرا
أرض الأجداد
قلوب من الجنوب
بداخلي غصن زيتون
كلام ابن عم حديت
عذراً أيتها الخنساء
فليبق الأمل
لا سكاكين وجع في هذه المدينة
سر الملكوت

قرة عيني
عيناك
ياء.. سين
بداية جديدة لكل أم
وقتي من ذهب
القائد الصغير
سمير وهدفه النبيل
لأنك مني
قابلتك في المترو
قبة الحياة
ماريوه
لقاء غريب
وحينما افترقنا
دوائر
آخر قطرات الحنين
اليوم الأجمل لم يأت بعد
عندما ينطق الحرف
الغروب الأخير
رانت الأيام
أبعد من الكلمات
اتجاه إجباري
قصة عشق - ج١
سجود المشاعر
رسائل لم تصل
بين أجنحة الكاردينال
أسيرة روح
صغيرتي
حكايات رحال
جوري
غربة روح
توءم الشعلة
عادي في بيتها
رسائل منسية
خلف القلوب الصامتة
وقابلتُ شيطانا
تزوجيني أولا
لم أكن أتوهم
ملاك أنت أم بشر؟
العملية كوبرا
ذلك الغريب
عاشقة على سفح القمر
احترس هناك بشر
قسمة ونصيب
مع العصفور
برادلي ولغز أهل النجوم
أزرق داكن
غموض عنوان
مخطوطة إبليس
حبر الألم
متاهات الحجرة المغلقة
طريقي بقربك
موعدنا ذات صباح

بلدة على أطراف العالم
بين طيات الهوى
أسرار الالتفات في سورة النحل
سكين ودماء
رجة عقل
تاج
كأولين
صديقي عرّوب
حكايات شارع العمدة
محاولات في القافية
دور المجمع العلمي العراقي
عاليا يا عرب
حروف مبعثرة
القرآن خارج الصندوق
نعم أحبه.. ولكن
فرس على جبل
لامار
عندما يُعشق الزيتون
آخر الحلم
حواء تحت الهامش
سيكولوجية النهاية
عنكبوت اللهفة
حديث لا يقبل الرحيل
ذات الرداء السماوي
العنقاء
ضمير الشيطان
الحياة في ريفانا
امتنان
سقوط بطئ
السر الآسن
شيفرة القدر
لسان التمساح
ليليان
بطل بلا عنوان
مشكاتي تنزف عشقا
نحو مقاربة جديدة لإعادة التربية
ظلال على جدار الروح
إعدام القيود
أنتِ قدري
هذه هي أنا
التدفق في عروق الذاكرة
من بين عيونك باتولد
صدفة
خواطر قلبية
مبرر نهائي
موسم الأحلام
حقيقة وما بعدها
صوت وصمت
خواطر الثامنة مساء
أحلام مبتورة
دموع الشتاء
حينما فاض قلبي

حكواتي هذا الزمان
مميز بالأسود
صحفية على هامش الحب
قطوف أندلسية
دراويش وكرامات
قبل النهاية
كبير العيلة ٢
دينامية المشروع الشخصي
كبير العيلة ٢
كما سقطت الفراشة
كانت لنا أيام
مكالمة خاطئة
أغنيات الرحيل
حكايات الشهيد
وجع الذاكرة
الحلبية
كبير العيلة ٣
وتناثرت الأجزاء
العالم متر في متر
يوميات رمضان
شهقة نبض
اعتذار غير مُجدي
ظلال المرئي
طفولة بلا زوابع
أسطورة قلبي
دلني على السوق
كلمة أم حكاية
بقايا ذاكرة
رحلتي إلى السودان
تدريس اللغة العربية
رحلتي إلى السودان
أطلال أحلام
لم يعد قلبي لغيرك
معطفي قال لي
جريمة أبريل
الجذور
عالم الشياطين
آمال

www.lotusfreepub.com

.....

رقم الإيداع
2020/10003

الترقيم الدولي ISBN
978-977-85713-5-5

الترخيص
مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي ـ نَسب المُصنَّف

٤,٠ ـ دولي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف